الباب الأول

- تعريف الدعوة.
- الدين الكامل.
- ماذا تعرف عن جهد الرسول صلى الله عليه وسلم؟.
- فروق في جهد النبوة.
- الدعوة والتبليغ.

إضاءة على طريق

التبليغ والدعوة

قال الشيخ إلياس(رحمه الله): إن الله يفتح أبواب رحمته على الإنسان بقدر تحمله للمشاق، وإذلال نفسه بصرف قواه الحسية والفكرية في كل أمر نافع، كما في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِين }.

فإن الإنسان لا ينال العزة فَي سبيل الله بغير تحمل المذلة فيه.

(الشيخ محمد إلياس حياته ومنهجه للشيخ عبد الخالق بيرزاده)

تعريف الدعوة

- **الدعوة في اللغة**: دعاه بمعنى ناداه، ودعا الدعوة للطعام بمعنى قدم له نداء أن يأتي للوليمة أو نحو ذلك.

(الدَّعْوَة) إِلَى الطَّعَامِ بِالْفَتْحِ. يُقَالُ: كُنَّا فِي دَعْوَةِ فُلَانٍ وَمَدْعَاةِ فُلَانٍ وَهُوَ مَصْدَرٌ وَالْمُرَادُ بِهَا الدُّعَاءُ إِلَى الطَّعَامِ.

وَ (الدِّعْوَة) بِالْكَسْرِ فِي النَّسَبِ وَ (الدَّعْوَى) أَيْضًا هَذَا أَكْثَرُ كَلَامِ الْعَرَبِ. وَعْدِيُّ الرَّبَابِ يَفْتَحُونَ الدَّالَ فِي النَّسَبِ وَيَكْسِرُونَهَا فِي الطَّعَامِ.

وَ (الدَّعِيُّ) مَنْ تبَنَيْتهُ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى:[وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءكُمْ أَبْنَاءكُمْ] (١).

وَادَّعَى عَلَيْهِ كذا، وَالِاسْمُ (الدَّعْوَى) .

وَ (تَدَاعَتِ) الْحِيطَانُ لِلْخَرَابِ تَهَادَمَتْ. وَ (دَعَاهُ) صَاحَ بِهِ وَ (اسْتَدْعَاهُ) أَيْضًا.

وَ (دَعَوْتَ) اللهَ لهُ وَعَلَيْهِ أَدْعُوهُ (دُعَاءً).

وَ (الدَّعْوَة) المَرَّة الوَاحِدَة وَ (الدُّعَاءُ) أَيْضًا وَاحِدُ الْأَدْعِيَةِ وَتَقُولُ لِلْمَرْأَةِ: أَنْتِ تَدْعِينَ وَتَدْعُوِينَ وَتَدْعُيْنَ بِإِشْمَامِ الْعَيْنِ الضَّمَّةَ وَلِلْجَمَاعَةِ أَنْتُنَّ تَدْعُونَ مِثْلُ الرِّجَالِ سَوَاءٌ. وَ (دَاعِيَة) اللَّبَنِ مَا يُتْرَكُ فِي الضَّرْعِ لِيَدْعُوَ مَا بَعْدَهُ.

وَفِي الْحَدِيثِ: " عَنْ ضِرَارِ بْنِ الْأَزْوَرِ قَالَ: بَعَثَنِي أَهْلِي بِلَقُوحٍ إِلَى النَّبِيِّ (ﷺ)، فَأَمَرَنِي أَنْ أَحْلُبَهَا فَحَلَبْتُهَا، فَقَالَ لِي: " دَعْ دَاعِيَ اللَّبَنِ " (٢)(٣).

---

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٤.

(٢) مسند أحمد ابن حنبل _ أوَّل مُسْنَدِ الكوفِيِّينَ _ حَدِيث ضِرَارِ بْنِ الأَزْوَرِ_ حديث رقم ١٨٦٦٧).

(٣) مختار الصحاح للرازي صـ ٢٠٥_ طبعة وزارة المعارف _ طبع بالمطابع الأميرية عام ١٣٤٥ هـ ، ١٩٢٦م.

- ودعوت فلاناً بمعنى صحت به أي بمعنى ناديته بصوت مرتفع (١).

- **والدعوة في اللغة أيضا:** معناها الحث والطلب، يُقال دعا بالشيء _أي طلب إحضاره _ ودعاه إلى الشيء: أي حثه على قصده، ودعاه إلى الدين والمذهب: أي حثه على اعتقاده وساقه إليه، ويقال دعا الله رجا منه الخير، ودعا لفلان أي طلب له الخير(٢).

- **ويطلق لفظ الدعوة على الأذان: لما ورد في الحديث:** عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِالله ﷺ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: مَنْ قال حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ:" اللهمَّ رَبَّ هَذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدا الوَسِيلَةَ وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاما مَحْمُودا الَذِي وَعَدْتَهُ، حَلَتْ لهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ ".(٣).

- **واشتقاقات مادة [دعوا] كثيرة، منها:**

١. **التداعي بمعنى التجمع، كما في الحديث:** عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فقال قائِل: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قال: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ " (٤).

---

(١) أساس البلاغة للزمخشري.

(٢) المعجم الوسيط.

(٣) صحيح البخاري» كتاب الأذان» بَاب الدُّعَاءِ عِندَ النِّدَاءِ رقم الحديث: (٥٨٩).

(٤) سنن أبي داود(٣٧٤٧)، مسند أحمد بن حنبل(٢١٨٠٩)، المعجم الكبير للطبراني (١٤٣٤)، شعب الإيمان للبيهقي(٩٦٧٧)، حلية الأولياء لأبي نعيم(٦٠٩)، دلائل النبوة للبيهقي(٢٩١٤).

٢. **والدعوى:** فهي مصدر ادَّعي يدَّعي ادعاء ودعوى والجمع: دعاوى، وهو أن يدّعي المرء أمراً قد يصح وقد لا يصح..حقا أو باطلا.

٣. **ولفظ الدعوة:** يستعمل في الخير والشر، كما في قوله تعالى عن المشركين: (أُوْلَـئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللهُ يَدْعُوَ إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِه وَيُبَيِّنُ آيَاتِه لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)(١)، وحديث النبي (ﷺ) في عمار (رضي الله عنه): " وَيْحَ عَمَّارٍ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ"(٢).

- **أما في الاصطلاح:** هي دلالة الخلق على الله(عز وجل)، بتذكيرهم بآلاء الله ونعمائه وأيامه، قال تعالى:(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ)(٣).

- **ولمزيد من الفائدة نبين رأي المفسرين في قوله تعالى(وَذكرْهُمْ بِأيَّامِ اللهِ) ذهبوا لرأيين:**

الأول: يرى أن المراد (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) أَيْ: بِأَيَادِيهِ وَنِعَمِه عَلَيْهِمْ، فِي إِخْرَاجِه إِيَّاهُمْ مِنْ أَسْرِ فِرْعَوْنَ وَقَهْرِه وَظُلْمِه وَغَشْمِه، وَإِنْجَائِه إِيَّاهُمْ مِنْ عَدُوهِمْ، وَفَلْقِه لَهُمُ الْبَحْرَ، وَتَظْلِيلِه إِيَّاهُمْ بِالْغَمَامِ، وَإِنْزَالِه عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ النِّعَمِ. قَالَ ذَلِكَ مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وهذا التفسير هو الذي عليه جمهور المفسرين، واختاره الطبري وابن كثير؛ لأنه الأنسب بالمقام، والأوفق بالسياق، ويشهد لهذا التفسير وَقَدْ وَرَدَ فِيهِ الْحَدِيثُ الْمَرْفُوعُ الَّذِي رَوَاهُ عَبْدُ اللهِ ابْنُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ فِي مُسْنَدِ أَبِيهِ: عَنِ ابْنِ

---

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٢١ .

(٢) صحيح البخاري- كِتاب الصَّلاةِ- أَبْوَابُ اسْتِقْبَالِ القِبْلَةِ - بَاب التعَاوُنِ فِي بِنَاءِ المَسْجِدِ.

(٣) سورة إبراهيم _ الآية ٥ .

عَبَّاس، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ) قَالَ: " بِنِعَمِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى " .

الثاني: يرى أن المراد بقولُهُ: { بِأَيَّامِ اللهِ} هنا: وقائعه وأحداثه: أيْ: ذكِّرهم بأَيَّامِ ظُهُورِ بَطْشِهِ وَغَلَبِهِ مَنْ عَصَوْا أَمْرَهُ، وَتَأْيِيدِهِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ عِزَّةِ اللهِ تَعَالَى.

وَأَخْرَجَ ابْنُ مِرْدُوَيْهِ عَنْ عَلِيٍّ أَوِ الزُّبَيْرِ ـ رَضِيَ اللهُ عنْهُما، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَخْطُبُنَا فَيُذَكِّرُنَا بِأَيَّامِ اللهِ، حَتَّى نَعْرِفَ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ، وَكَأَنَّهُ نَذِيرُ قَوْمٍ يُصَبِّحُهُمُ الأَمْرُ غُدْوَةً، وَكَانَ إِذَا كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِجِبْرِيلَ ، لَمْ يَتَبَسَّمْ ضَاحِكًا، حَتَّى يَرْتَفِعَ عَنْهُ(١).

وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، فِي قَوْلِهِ تعالى: "وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ" قَالَ: بِوَقَائِعِ اللهِ فِي الْقُرُونِ الأُولى.

وقالَ ابنُ السِّكِّيت: العَرَبُ تقولُ: الأَيَّامُ في معْنَى الوَقائعِ، يقولونَ: هو عالِمٌ بأَيَّامِ العَرَبِ؛ أي وَقائعها.

وقالَ شَمِرٌ: إِنَّما خصُّوا الأَيَّامَ بالوَقائعِ دونَ ذِكْر اللَّيالي لأَنَّ حُروبَهم كانتْ نَهارًا، وإذا كانتْ ليْلًا ذكرُوها،

ومن ذلك أيام العرب؛ لحروبها وملاحمها، كيوم ذي قار، ويوم الفجار، ويوم جبلة، ويوم البيداء. وغيرها من أيام العرب المشهورة. وقال تعالى: { وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ}(٢).

---

(١)أخرجَهُ الإمامُ أحمدُ في مُسندِهِ: (١٦٧/١ رقم: ١٤٣٧)، ورِجَالهُ ثِقات.

(٢) سورة آل عمران : الآية ١٤٠.

قال ابن عاشور: وَ أَيَّامَ اللهَّ أَيَّامُ ظُهُورِ بَطْشِه وَغَلْبِه مَنْ عَصَوْا أَمْرَهُ ، وَتَأْييده الْمُؤْمنينَ عَلَى عَدُوِّهِمْ ، فَإِنَّ ذَلكَ كُلَّهُ مَظْهَرٌ منْ مَظَاهرِ عزَّة اللهَّ تَعَالَى ، وَشَاعَ إِطْلَاقُ اسْمِ الْيَوْمِ مُضَافًا إِلَى اسْمِ شَخْصٍ أَوْ قَبيلَة عَلَى يَوْمٍ انْتَصَرَ فيه مُسَمَّى الْمُضَاف إِلَيْه عَلَى عَدُوِّه ، يُقَالُ : أَيَّامُ تَميمٍ ، أَيْ : أَيَّامُ انْتصَارهمْ ، فَأَيَّامُ اللهَّ أَيَّامُ ظُهُورِ قُدْرَته وَإِهْلَاكه الْكَافرينَ به وَنَصْرِه أَوْليَاءَهُ وَالْمُطيعينَ لَهُ (١).

وهذا القول اعتبره الزمخشري هو الظاهر من الآية؛ لأن لفظ (الأيام) في لسان العرب مستعمل للوقائع.

ويشهد لهذا التفسير الثاني: مارواه ابْنُ زَيْد في قَوْل اللهَّ: { وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهَّ } قَالَ: أَيَّامُهُ الَّتي انْتَقَمَ فيهَا منْ أَهْلِ مَعَاصيه منَ الْأُمَمِ خَوَّفَهُمْ بهَا، وَحَذَّرَهُمْ إِيَّاهَا، وَذَكَّرَهُمْ أَنْ يُصيبَهُمْ مَا أَصَابَ الَّذينَ منْ قَبْلهمْ.وروي نحو ذلك عن الربيع ومقاتل وغيرهما.

والإمام الرازي فسر الآية بما يدل على المعنيين معاً، حيث قال: " أَنَّهُ يُعَبَّرُ بِالْأَيَّامِ عَنِ الْوَقَائِعِ الْعَظيمَة الَّتي وَقَعَتْ فيهَا . يُقَالُ : فُلَانٌ عَالِمٌ بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَيُرِيدُ وَقَائعَهَا، وَفي الْمَثَلِ: مَنْ يُرَ يَوْمًا يُرَ لَهُ؛ مَعْنَاهُ مَنْ رُئيَ في يَوْمٍ مَسْرُورًا بمَصْرَعِ غَيْرِه يُرَ في يَوْمٍ آخَرَ حَزينًا بمَصْرَعِ نَفْسه، وَقَالَ تَعَالَى: (وَتلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ) .

إِذَا عَرَفْتَ هَذَا فَالْمَعْنَى: عظْهُمْ بِالتَّرْغيبِ وَالتَّرْهيبِ وَالْوَعْد وَالْوَعيد، فَالتَّرْغيبُ وَالْوَعْدُ أَنْ يُذَكِّرَهُمْ مَا أَنْعَمَ اللهَّ عَلَيْهِمْ وَعَلَى مَنْ قَبْلَهُمْ ممَّنْ آمَنَ بِالرُّسُلِ في سَائرِ مَا سَلَفَ منَ الْأَيَّامِ، وَالتَّرْهيبُ وَالْوَعيدُ: أَنْ يُذَكِّرَهُمْ بَأْسَ اللهَّ وَعَذَابَهُ وَانْتقَامَهُ ممَّنْ

(١)التحرير والتنوير» سورة إبراهيم» قوله تعالى :(وَلقدْ أَرْسَلنا مُوسَى بِآيَاتِنا أَنْ أَخرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظلمَاتِ إِلى النورِ وَذكرْهُمْ بِأَيَّامِ اللهِ إِنَّ فِي ذلكَ لَآيَاتٍ لِكل صبَّارٍ شكورٍ).

كَذَّبَ الرُّسُلَ مِمَّنْ سَلَفَ مِنَ الْأُمَمِ فِيمَا سَلَفَ مِنَ الْأَيَّامِ، مِثْلُ مَا نَزَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، لِيَرْغَبُوا فِي الْوَعْدِ فَيُصَدِّقُوا وَيَحْذَرُوا مِنَ الْوَعِيدِ فَيَتْرُكُوا التَّكْذِيبَ .(١).

وقد وردت كلمة الدعوة في سنة النبي (ﷺ) بمعاني كثيرة:

١) **الإعلام: كما في حديث معاذ بن جبل:** عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ مُعَاذًا قَالَ بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: " إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ "(٢). **وذلك بعد استجابتهم للدعوة.**

٢) **البلاغ**: قال تعالى:{ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ }(٣)، وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ:" بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّداً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ ". رواه البخاري(٤).

---

(١) تفسير الرازي _ سورة إبراهيم.

(٢) صحيح مسلم» كتاب الإيمان» بَاب الدُّعَاءِ إِلى الشهَادَتيْنِ وَشرَائِعِ الإِسْلاَمِ.

(٣) سورة النحل » الآية ٣٥.

(٤) صحيح البخاري» كتاب أحاديث الأنبياء» باب ما ذكر عن بني إسرائيل(٣٢٧٤)، سنن الترمذي- كتاب العلم بَاب مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ(٢٦٦٩)، سنن الدارمي- المقدمة _ بَاب الْبَلَاغِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَتَعْلِيمِ السُّنَنِ (٥٤٢).

وعَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ ، قَالَ : " كَانَ أَبُو أُمَامَةَ ، يُحَدِّثُنَا فَيُكْثِرُ ، ثُمَّ يَقُولُ : عَقَلْتُمْ ؟ فَنَقُولُ : نَعَمْ فَيَقُولُ : بَلغُوا عَنَّا فقدْ بَلغْنَاكمْ "(١).

وليس أمر الدعوة إلى الله بأقل من أمر الدعوة أو الدعاية إلى سلعة دنيوية، ونحن على يقين أن صاحب البضاعة يستخدم أقوى الوسائل وأوسعها انتشاراً من أجل إيصال الجمهور إلى درجة القناعة ببضاعته، ونراه في سبيل ذلك يستخدم الكلمة والصورة والهدية وغير ذلك من الوسائل.

وقد جعل الله – تعالى– مهمة رسله وأنبيائه البلاغ، فقال: { فهَلَ عَلى الرُسُلِ إلا البَلاغ المُبِينُ }(٢) ووصف البلاغ بأنه المبين.

وقال تعالى: { الذِينَ يُبَلِغُون رِسَالاتِ اللهِ وَيَخْشَوْنَهُ }(٣) .

وليس المقصود بالبلاغ مجرد الإخبار أو الإعلان، إنما المراد أن تصل رسالته للناس(٤).

ويتكون البلاغ من سلسلة ينتقل من جيل إلى جيل حتى قيام الساعة لا ينقطع التبليغ، فإذا ضعفت حلقة من هذه السلسلة أُتيت الأمة من حيثث لا تحتسب، وتكالب عليها أعدائها: كما في الحديث: عَنْ ابْنِ عُمَرَ قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" إِذَا تَبَايَعْتُمْ بِالْعِينَةِ وَأَخَذْتُمْ أَذْنَابَ الْبَقَرِ وَرَضِيتُمْ بِالزَّرْعِ وَتَرَكْتُمْ الْجِهَادَ سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ ذُلًا لَا يَنْزِعُهُ حَتَّى تَرْجِعُوا إِلَى دِينِكُمْ "(٥).

وعَنْ ثَوْبَانَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا

---

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر» بَابٌ جَامِعٌ لِنشرِ العِلمِ رقم الحديث:(٥٦٢).

(٢) سورة النحل » الآية ٣٥.

(٣) سورة الأحزاب » الآية ٣٩ .

(٤) قواعد الدعوة إلى الله د. همام سعيد عبد الرحمن.

(٥) سنن أبي داود» كتاب الإجارة» بَاب فِي النهْيِ عَنْ العِينةِ (٣٤٦٢).

تَدَاعَى الْأُكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا " فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ :"بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ وَلَيَنْزَعَنَّ اللهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ وَلَيَقْذِفَنَّ اللهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ وَمَا الْوَهْنُ ؟ قَالَ:" حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ "(١).

وكما في جاء في كلام ملك الصين ليزدجرد لما بَعَثَ إِلَى مَلِك الصِّين يَسْتَغيثُ به وَيَسْتَنْجِدُهُ ، فَجَعَلَ مَلِكُ الصِّين يَسْأَلُ عَنْ صِفَةِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ قَدْ فَتَحُوا الْبِلَادَ وَقَهَرُوا رِقَابَ الْعِبَادِ، فَجَعَلَ يُخْبِرُهُ عَنْ صِفَتِهِمْ ، وَكَيْفَ يَرْكَبُونَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَمَاذَا يَصْنَعُونَ ، وَكَيْفَ يُصَلُّونَ.

فَكَتَبَ مَعَهُ إِلَى يَزْدَجِرْدَ، إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَبْعَثَ إِلَيْكَ بِجَيْشٍ أَوَّلُهُ بِمَرْوَ وَآخِرُهُ بِالصِّينِ الْجَهَالَةُ بِمَا يَحِقُّ عَلَيَّ، وَلَكِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ الَّذِينَ وَصَفَ لِي رَسُولُكَ صِفَتَهُمْ ؛ لَوْ يُحَاوِلُونَ الْجِبَالَ لَهَدُّوهَا، وَلَوْ جِئْتُ لِنَصْرِكَ، أَزَالُونِي مَا دَامُوا عَلَى مَا وَصَفَ لِي رَسُولُكَ ، فَسَالِمْهُمْ وَارْضَ مِنْهُمْ بِالْمُسَالَمَةِ (٢).

٣) الدعاية: كما جاء في كتاب النبي ﷺ لهرقل عظيم الروم: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الْإِسْلَامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ وَأَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الْأَرِيسِيِّينَ (٣).

---

(١) سنن أبي داود» كتاب الملاحم» بَاب فِي تدَاعِي الأمَمِ عَلى الإِسْلَامِ (٤٢٩٧).

(٢) البداية والنهاية» ثم دخلت سنة ثنتين وعشرين» غَزْوُ الْمُسْلِمِينَ بِلادَ خرَاسَانَ مَعَ الأحْنَفِ بْنِ قيْسٍ.

(٣) صحيح البخاري » كتاب تفسير القرآن » سورة آل عمران » بَاب قل يَا أَهْلَ الكِتَابِ تعَالوْا إِلى كلِمَةٍ سوَاءٍ بيْنَنَا وبَيْنَكُمْ أنْ لَا نعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ سوَاءٍ قصْدٍ (٤٢٧٨).

- وقال الحافظ في الفتح: قَوْلُهُ ﷺ: (أَدْعُوكَ بِدعَايَةِ الْإِسْلَامِ) وَهُوَ بِكسْرِ الدَّالِ أيْ بِدَعْوَتِهِ، وَهِيَ كلِمَةُ التوْحِيدِ، وَقال فِي الرِّوَايَةِ الأخرَى التِي ذكرَهَا مُسْلِمٌ بَعْدَ هَذا: (أَدْعُوكَ بِدَاعِيَةِ الْإِسْلَامِ) وَهُوَ بِمَعْنَى الأولى، وَمَعْنَاهَا: الكلِمَةُ الدَّاعِيَةُ إِلى الإِسْلامِ، قال القاضِي: وَيَجُوزُ أنْ تكونَ (دَاعِيَةُ) هُنا بِمَعْنَى دَعْوَةٍ كمَا فِي قوْلِهِ تعَالى :(لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللهِ كَاشِفَةٌ) أَيْ كَشْفٌ. (١).

- وقال ابن تيمية (رحمه الله): الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ هِيَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِيمَانِ به وَبِمَا جَاءَتْ به رُسُلُهُ بِتَصْدِيقِهِمْ فِيمَا أَخْبَرُوا به وَطَاعَتِهِمْ فِيمَا أَمَرُوا وَذَلِكَ يَتَضَمَّنُ الدَّعْوَةَ إِلَى الشَّهَادَتَيْنِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَصَوْمَ رَمَضَانَ وَحَجَّ الْبَيْتِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى الْإِيمَانِ بِاَللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْإِيمَانَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَالدَّعْوَةَ إِلَى أَنْ يَعْبُدَ الْعَبْدُ رَبَّهُ كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ تَكُونُ بِدَعْوَةِ الْعَبْدِ إِلَى دِينِهِ وَأَصْلُ ذَلِكَ عِبَادَتُهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ كَمَا بَعَثَ اللهُ بِذَلِكَ رُسُلَهُ وَأَنْزَلَ بِهِ كُتُبَهُ.. قال تعَالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٢).

وقال تعَالى: { وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ }.وقال تعَالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ }.

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني.

(٢) سورة الشورى – الآية 13.

وَقال تعَالى: { وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ } .

وَكُلُّ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ وَاجِبٍ وَمُسْتَحَبٍّ مِنْ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ فَمِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ الْأَمْرُ بِهِ وَكُلُّ مَا أَبْغَضَهُ اللهُ وَرَسُولُهُ مِنْ بَاطِنٍ وَظَاهِرٍ؛ فَمِنْ الدَّعْوَةِ إِلَى اللهِ النَّهْيُ عَنْهُ لَا تَتِمُّ الدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ إِلَّا بِالدَّعْوَةِ إِلَى أَنْ يَفْعَلَ مَا أَحَبَّهُ اللهُ وَيَتْرُكَ مَا أَبْغَضَهُ اللهُ سَوَاءٌ كَانَ مِنْ الْأَقْوَالِ أَوْ الْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ أَوْ الظَّاهِرَةِ كَالتَّصْدِيقِ بِمَا أَخْبَرَ بِهِ الرَّسُولُ (ﷺ) مِنْ أَسْمَاءِ اللهِ وَصِفَاتِهِ وَالْمَعَادِ وَتَفْصِيلِ ذَلِكَ وَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقَاتِ كَالْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ ؛ وَكَإِخْلَاصِ الدِّينِ للهِ وَأَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِمَّا سِوَاهُمَا وَكَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالرَّجَاءِ لِرَحْمَتِهِ وَخَشْيَةِ عَذَابِهِ وَالصَّبْرِ لِحُكْمِهِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ وَكَصِدْقِ الْحَدِيثِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ وَحُسْنِ الْجِوَارِ وَكَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالْقَلْبِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ .

فَالدَّعْوَةُ إِلَى اللهِ وَاجِبَةٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَهُ وَهُمْ أُمَّتُهُ يَدْعُونَ إِلَى اللهِ كَمَا دَعَا إِلَى اللهِ (١).

- وقال الشيخ ابن عثيمين (رحمه الله): هي الدعوة إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، وحفظ الحقوق، وإقامة العدل بين الناس بإعطاء كل ذي حق حقه وتنزيله من المنازل ما يستحقه، فترتفع العقائد الكاملة والأحكام الشرعية، وتزهق العقائد الباطلة والقوانين الجاهلية والأحكام الوضعية (٢).

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية جـ ١٥/ ١٥٧.

(٢) رسالة في الدعوة إلى الله.

- وقال بعضهم: **الدعوة:** هي تعريف الناس بربهم بأسمائه وصفاته، وكيفية الوصول إلى الرب سبحانه، وما لهم إذا هم وصلوا إليه.

- وهي: حداء بالناس لمعرفة الله والإيمان به، وتوحيده ربـًا خالقـًا مالكـًا، وإلهـًا معبودًا وحاكمـًا فردًا، فلا منازع له في ربوبيته، ولا شريك له في إلهيته، ولا مضاد له في حاكميته (أفغَيْرَ دِينِ اللهِ يَبْغُون وَلهُ أسْلمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ طوْعا وَكرْها وَإلَيْهِ يُرْجَعُون) (١)، (وَمَنْ أحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكما لِقوْمٍ يُوقِنون) (٢) واتباع كل ما جاء به النبي صَلى اللهُ عَليْهِ وَسَلمَ.

- وقال الشيخ صالح بن حميد (حفظه الله): يمكن بالنظر والتأمل تعريف الدعوة بأنها: قيام المسلم ذي الأهلية ـ في العلم والدين ـ بتبصير الناس بأمور دينهم، وحثهم على الخير، وإنقاذهم من شر واقع، وتحذيرهم من سوء متوقع، على قدر الطاقة، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل (٣).

- وقال الشيخ محمد خضر حسين (رحمه الله): **الدعوة**: هي حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل (٤).

- وعرفها الشيخ البيانوني فقال: هي تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة (٥).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ٨٣.

(٢) سورة المائدة _ الآية ٥٠.

(٣) معالم في منهج الدعوة ٩.

(٤) الدعوة إلى الإصلاح: ١٧.

(٥) المدخل إلى علم الدعوة :١٦.

- **وقال الشيخ الصواف:** الدعوة هي رسالة السماء إلى الأرض، وهي هدية الخالق إلى المخلوق، وهي دين الله القويم، وطريقه المستقيم، وقد اختارها الله وجعلها الطريق الموصل إليه سبحانه، (إِن الدِينَ عِندَ اللهِ الإِسْلامُ) (١)، ثم اختارها لعباده، وفرضها عليهم، ولم يرض بغيرها بديلاً عنها:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (٢)(٣).

- وباختصار شديد فإن الدعوة إلى الله تعالى هي معرفة الدين ودعوة الناس إليه تحقيقا لقوله تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } (٤).وقوله سبحانه: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِّ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِّ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (٥).

- **والدعوة قد بين مقصدها سيدنا ربعي بن عامر(رضي الله عنه): عندما وقف أمام رستم قائد الروم، حين سأله من أنتم ومَا جَاء بِكُمْ ؟ فقال:** اللهُّ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادَةِ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهِّ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سَعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللهِّ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللهِّ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ (٦).

---

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٩.

(٢) سورة آل عمران _ الآية ٨٥.

(٣) الدعوة والدعاء للصواف، ص٢٢.

(٤) سورة يوسف _ الآية ١٠٨

(٥) سورة يوسف _ الآية ١٠٨

(٦) البداية والنهاية» سنة أربع عشرة من الهجرة» غزوة القادسية - تجهيز رستم للخروج لسعد - فَصْلٌ فِي غَزْوَةِ الْقَادِسِيَّةِ .

- **ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله)** : إن حركة الإيمان ـ أي الدعوة إلى الحق ـ تتفوق على جميع الأعمال، كتفوق النبي (ﷺ) على سائر المخلوقات، فكما لا يمكن أن تعيش الإنسانية بالأمن والسلامة إلا بأن تلجأ إلى ظل سيدنا محمد (ﷺ): هكذا لا يمكن للأعمال أن تبقى وتنمو بدون الإيمان الكامل والقيام بحركة فعالة لإحيائه (١).

- **ويقول الأستاذ أبو الحسن على الندوى(رحمه الله)**: إن الشيخ محمد إلياس قد أدرك تلك الحقيقة، وهى أن البعد والتهرب من الأحكام الدينية، والفساد فى الأمة كلها: ما هو إلا نتيجة للنقص فى الإيمان، وقد ثبت بالفعل: أنه لا تنفع أية عبادة أو حسنة ، ولا يقبل الدعاء إلا بالإيمان الكامل .

- **ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله)**: إن هذه الوظائف والأوراد والأدعية، وكل ما يوصل إلى طريق الدين ما هي إلا ممرات للدين، وزهور، وأوراق، وأغصان للمذهب .

فالشجرة التي تجف أصولها، قائمة في الأرض اليابسة، فمن أين تأتيها عناصر الحياة في زهورها وأوراقها وأغصانها حتى تورق وتزهر وتثمر ؟.

فلهذا كان الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) يرى: أن مكانة المسلم ليست إلا بترويج السنن الإيمانية ألا وهى الدعوة إلى الإيمان بالله، وأن الله لم يَعِد المؤمنين بالرحمة والنصرة إلا إذا قاموا بإعلاء كلمته، والسعي لنشر دينه، وهو ما يقال لــه: " الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

---

(١) الإنسان بين الكون والإيمان حقيقة كلمة التوحيد وطريق الوصول إليها في منهج العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله) تأليف الداعية الإسلامى الدكتور عبدالخالق بيرزاده.

وإن لم يقم الإنسان بهذا الأمر بالإخلاص والإيمان الكامل، فلن يؤثر دعاؤه ، وإن قام داعيا بالنهار، وباكياً ومتضرعا إلى الله طوال الليل، بل لا يكون لأوراده ولا لأعماله تأثير، ولا نتيجة لبذل جهوده، بل تغلق في وجهه أبواب الرحمة.

وهؤلاء العرب في الجاهلية قالوا: نَحْنُ نَنْحَرُ الْكَوْمَاءَ، وَنَسْقِي اللَّبَنَ عَلَى الْمَاءِ ، وَنَفُكُّ الْعُنَاةَ ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَنَصِلُ الْأَرْحَامَ ،...." (١).

وفى رواية: " وَنَحْنُ أَهْلُ الْحَجِيجِ وَأَهْلُ السَّدَانَةِ وَأَهْلُ السِّقَايَةِ "(٢) ومع ذلك يقال: " لعنة الله وغضبه عليهم وهم وقود النار خالدين فيها " (٣).

ويقول الشيخ سعد هارون (حفظه الله) (٤): مقصد الدعوة إلى الله هو تكميل الإيمان والأعمال وإخراج الإيمان والأعمال من السطحية إلى التحقيق ومن الصورة إلى الحقيقة.. وعدم فهمنا للمقاصد يؤدي بنا إلى عدم الاستقامة وترك الجهد.

وإذا تهاونا بالدعوة إلى الله كما تهاونا بالدين فلن نتحصل على مواعيد الله تعالى المتعلقة بها من الإصلاح والتربية والتزكية والتعلق بالله جل جلاله .

---

(١) جزء من حديث رواه الطبراني وتمامه: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: " قَدِمَ حُيَيُّ بْنُ أَخطبَ وَكعْبُ بْنُ الْأَشرَفِ مَكَّةَ عَلَى قُرَيْشٍ فَحَالَفُوهُمْ عَلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالوا لَهُمْ : أَنتُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ الْقَدِيمِ، وَأَهْلُ الكِتابِ فأخبِرُونا عَنا وَعَنْ مُحَمَّدٍ، قالوا: وَمَا أنتمْ وَمَا مُحَمَّدٌ ؟ قالوا: نحْنُ نَحرُ الكوْمَاءَ، وَنسْقِي اللَّبَنَ عَلَى الْمَاءِ، وَنَفُكُّ الْعَنَاءَ، وَنَسْقِي الْحَجِيجَ، وَنَصِلُ الْأَرْحَامَ، قَالوا: فَمَا مُحَمَّدٌ ؟ قَالُوا: صُنْبُورٌ قَطَعَ أَرْحَامَنَا، وَاتَّبَعَهُ سُرَّاقُ الْحَجِيجِ بَنُو غِفارٍ، قَالُوا: بَلْ أَنْتُمْ خَيْرٌ مِنْهُ، وَأَهْدَى سَبِيلًا ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطاغُوتِ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، وابن أبي حاتم في التفسير.

(٣) الإنسان بين الكون والإيمان حقيقة كلمة التوحيد وطريق الوصول إليها في منهج العلامة الداعية الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله) تأليف الداعية الإسلامى الدكتور عبدالخالق بيرزاده.

(٤) حفيد الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي(رحمه الله).

فسر العلماء قول الله تعالى: {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } (١)، بمعنى أنه من أحسن دينا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا.

والدعوة والعمل الصالح مرتبطان ومتلازمان لا ينفصل أحدهما عن الآخر ولا يكفي أحدهما دون الآخر.

وبالدعوة إلى الله نتحصل على القرب منه ﷻ وبقدر ما نجتهد في الدعوة يكون القرب منه .

لا بد أن نتيقن من صميم قلوبنا أن الدعوة إلى الله والعمل الصالح بالاستقامة عليهما دائما كما هو حقهما وسيلة أكيدة للإصلاح والتزكية والتعلق به جل جلاله والتربية لدرجة أن إنكار ذلك مثل إنكار السنة.

لا بد أن نتيقن من صميم قلوبنا أن الله ﷻ حدد الدعوة إليه وسيلة للهداية.

والدعوة إلى الله ليست بديلا يغني عن أي شعبة من شعب الدين، وكذلك لا تغني أي شعبة من شعب الدين عن الدعوة بحيث نأخذ ما نشتهي ونترك مالا نريد أبدا، لأن لكل من الدعوة وباقي شعب الدين أهميته و لزومه .

الدين والدعوة والتبليغ والتعليم كلها أمور متلازمة مع بعضها لا تفترق عن بعضها أبدا ولا يغني أحدها عن الآخر، وليس هنالك وسيلة للقرب من الله جل جلاله، أعظم من الدعوة إليه، قال الشيخ محمد إلياس رحمه الله: بقدر ما نجتهد في دعوة الناس إلى الله بقدر ما يرضى الله عنا.

---

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٣ .

بل هذا الكلام مفهوم من حديث صحيح أنه ليس من عمل يقرب إلى الله أعظم من الدعوة إليه جل جلاله. لماذا ؟؟ لأن الدعوة إلى الله يتوقف عليها تحقيق وتثبيت ونشر الإيمان وكامل أعمال وأخلاق ومعاملات الإسلام .

وتصحيح الكلمة والإيمان والصلاة هذه هي حروف الهجاء للمرحلة الابتدائية من الدين مثل المسلم الجديد نعلمه أولا الكلمة الطيبة وباقي أركان الإسلام فور دخوله أنه بدون لا إله إلا الله محمد رسول الله لا دخول في الإسلام وأنه عليك أداء الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت.

والدعوة ليست للتعليم فقط بحيث تدخل ثم تخرج وتقول أنا أكملت النصاب وتخرجت من المدرسة أبداً، الدعوة إلى الله والأعمال الصالحة واجب علينا الاستقامة عليها إلى الممات والاستقامة عليهما لا تأتي إلا بفهم المقاصد واليقين عليها.

مقصد حياة الإنسان الأول والأخير هو عبادة الله جل جلاله وحده لا شريك له، ولتحقيق العبادة لابد من معرفة الله جل جلاله بالتفكر والتدبر والنظر في ملكوت الله جل جلاله والتعلم ولذلك لابد من الإكثار من ذكر الله حمدا وتكبيرا وتسبيحا والدعوة إليه حتى تتحقق معرفته فينا وفي المدعوين ونتحصل على الإيمان واليقين عليه جل جلاله فتأتي محبته في قلوبنا وعظمته وهيبته فلا نحب إلا إياه ولا نرجو سواه ولا نسأل غيره ولا نعبد إلا هو جل جلاله، فمعرفة الله واليقين عليه طريقا الإيمان به وعبادته حبا ورغبة ورهبة ورجاء وطريق تحقيق معرفة الله واليقين عليه هو الدعوة إلى الله والاستغراق فيها لأنها بيئة ذكر الله وتعظيمه وتنزيهه ومعرفته وغيرها من البيئات هي بيئات غفلة عن ذكر الله .

وعناصر الدعوة إلى الله هي في حياة الأنبياء والصحابة لا غير والأثر الصحيح والأقوى هو في اتباع طريقهم لا غير .

تغيير الطريقة قد يكون له نتيجة ولكن لن تكون كما في طريقة سيد الأنبياء والمرسلين بل وقد تكون النتائج عكسية وسلبية لكن طريقة السنة هي الناجحة والمضمونة قد لا تكون النتائج ظاهرة أو سريعة ولكنها محققة ومؤكدة وراسخة ثابتة، انظر إلى نتائج دعوة النبي (ﷺ) وثمارها الصحابة رضوان الله عليهم واتباعهم إلى يوم الدين كيف كانت هدايتهم وثباتهم ورسوخهم ؟ .

وكيف وكم انتشر الاسلام بسببهم ؟، لما فيهم من صفات إيمانية عالية قوية.

لذلك الأصل الأصيل للدعوة الحقة هو اتباع طريقة الرسول (ﷺ) فيها، والحياد عنها والأخذ بالطرق الأخرى مخالفة لهديه وفيها ما فيها من الأخطار الجسام رزقنا الله وإياكم اتباع سنته والسير على منهاجه وطريقته في كل صغيرة وكبيرة فالخير كل الخير في اتباعه والشر كل الشر في مخالفته. (١).

- ويقول الدكتور نُعمان أبو الليل (حفظه الله) مبينا مقصد الدعوة: هي استخدام القوة الخُلقية من أجل إحياء دين الله (٢)، يعني الدعوة إلى الله بإظهار محاسن الدين عن طريق حسن الخلق، ولذا كتب الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه حياة الصحابة بابا وسماه [الأخلاق المفضية إلى هداية الناس].

---

(١) تنوير الأفهام بجهد خير الأنام من كلام الإمام العالم الشيخ سعد هارون الكاندهلوي حفيد الشيخ إلياس الكاندهلوي مجدد الدعوة في القارة الهندية _ بقلم المؤلف.

(٢) من كتاب الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية من كلام الدكتور / نعمان أبو الليل من علماء الأردن من أهل الدعوة والتبليغ – بقلم المؤلف.

فمقصد الدعوة: هو إخراج الناس من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة من بيئة الظلمة إلى البيئة النورانية ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظلمَاتِ إِلى النَّورِ﴾(١) مثل إنسان ما عندهُ رغبة في الدين تقول لهُ: ﴿ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ ﴾(٢) وأنهار من لبن فيقول: خليها لك هذا لا نقول من يُعَلِّمهُ لا يريد أن يتعلم بل من يرغبه من يدعوهُ

فجهد الدعوة على الناس الدعوة الناس الذين لا يرغبون بالدين (غير الراغبين) وأحياناً إنسان مُتدين وعندهُ رغبة في كل شيء و لكن ما عنده رغبة في الدعوة، أيضاً نرغبهُ ونذكر لهُ فضائل الدعوة..لأن عنده ظلمة عدم حُب للدعوة قد لا يكون عندهُ رغبة في قيام الليل.. لكن الظلمة الكاملة هي ظلمة الكفر... لكن الذي يأتي إلى المسجد في عندهُ بعض الظلمة فكيف نجتهد على بعض ﴿ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظلمَاتِ إِلى النَّورِ﴾.

فجهد الدعوة على غير الراغبين أين كان يجتهد سيدنا لوط؟ على أهل الخبائث.. هل أهل الخبائث يصلحوا أن ندخلهم المعاهد الشرعية؟؟.

كان لوط عليه السلام يجتهد على أهل الخبائث حتى يصبحوا أهل الطيبات فمقصد الدعوة: كيف أهل القبائح يصيروا أهل خير ودين؟ (٣).

- ويقول الشيخ عبد الخالق بيرزاده: إن كلمة (الدعوة) تعنى المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إلى شيء، وبناءً على ذلك يكون معنى (الدعوة الإسلامية): المحاولة العملية أو القولية لإمالة الناس إلى الإسلام.

---

(١) سورة إبراهيم _ الآية ١ .

(٢) سورة البقرة _ الآية ٢٥ .

(٣) الأنوار النعمانية بقلم المؤلف .

- **فالمراد من** (**الدعوة الإسلامية**): بذل كافة الجهود العملية والقولية في سبيل نشر دين الله وإبلاغه إلى الآخرين .

- إن حماة الدعوة الإسلامية كانوا في البداية نموذجا من طراز خاص.

- كانوا ينفذون تعاليم دينهم ما يفرطون في شيء.

- كان كل واحد منهم داعية إلى الإسلام بعمله وقوله وسيرته، بحيث لو مثل الإسلام شخصا ما زاد على أن يكون كأحدهم، وبذلك كانوا نموذجا لتعاليم الإسلام المثالية.

- يسير الواحد منهم فيُعرف بعقيدته الراسخة، وسيرته الطاهرة، وخلقه الفذ وعفافه البريء.

- كانوا أنزه الناس سيرة وخلقا وعشرة، يراهم الناس فتبهرهم أخلاقهم وصفاء حياتهم .. فيقبلوا على الإسلام ويدخلوا في كنفه.

- وبذلك وجهوا العالم وفرضوا على البشرية اتجاههم، وأملوا عليها إرادتهم، لأنهم كانوا القدوة الطيبة الصالحة في الدعوة للإسلام، وكان الواحد منهم يشعر أنه المسئول عن توجيه هذا العالم وسيره واتجاهه فليس مقامه مقام التقليد والإتباع إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ، ومقام الإرشاد والتوجيه .

- فعلينا إذ أردنا أن ندعو لديننا، وأن نعيد له عزه وسيادته، وقيادته للعالم، علينا أن نأخذ وضعنا الصحيح من جديد في قيادة البشرية.

- علينا أن نقوم لله طبقا لما أمرنا به الله - ﷻ- بقوله :{ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ }(١) .

---

(١) سورة سبأ _ الآية ٤٦ .

- وعلينا أن نجاهد في سبيل الله طبقا لما أمرنا به سبحانه وتعالى فى قوله تعالى:{ انْفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ }(١).

- ولكن المشكلة الأساسية لا تزال قائمة في مكانها، وهى: أنه كيف يمكن لنا القيام وبذل الجهود في سبيل الله وإحياء دينه، فإن مصادر الإرواء قد جمدت في مكانها وأصابها البرود.. بل هي نفسها في حاجة إلى إرواء واسع ؟.

- فكيف نقوم ونحن لا نعرف القيام، وكيف نبذل الجهود في إحياء الدين ونحن لا نعرف في الدين شيئا، وكيف نخرج في سبيل الله ونحن نجهل معالم الطريق؟.

- ولكننا مع كل ذلك أبناء أمة أخرجت للناس، فكيف السبيل إذن للخروج في سبيل الله وبذل الجهود في إعلاء كلمته سبحانه وتعالى؟(٢).

- كان موضوع بعثة الأنبياء (عليهم السلام) الجهد علي الأمم والأقوام لربطهم مع خالقهم، ولترسيخ التوحيد وعظمة الله وكبريائه في قلوبهم، نعم من لوازم جهد الأنبياء (عليهم السلام) الجهد علي النفس، حتي تزداد وتتقوى علاقة الداعي شخصيا مع الله (عز وجل)، والداعي لا ينسي نفسه بسبب الفكر للإنسانية كلها، ولا يشتغل بالجهد علي نفسه بحيث يغفل عن مسئوليته، وعن فكره للإنسانية، لأن الله (عز وجل) أنزل سورتين، سورة المدثر لبيان الدعوة إلي الله، وسورة المزمل لزيادة علاقة الداعي مع الله شخصيا وانفراديا، كما قال عز وجل: { يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ * قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا * نِصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا * أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ

(١) سورة التوبة _ الآية ٤١.

(٢) أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بهما _ للشيخ عبد الخالق بيرزاده.

الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا * إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا * إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا * إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا * وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا }(١).

- **فلا بد من قوة الفكر** (قوة القلب)؛ والهمَّ والحزن على الأمة؛ وجعل الدعوة في مقدمة الأولويات في حياة الداعية.

- **الدعوة مع العلم** (علم الفضائل)؛ مع الذكر وعدم الغفلة، مع الدعاء، مع بذل النفس والمال؛ مثال ذلك: المزارع يقوم بحراثة الأرض وبذرها وتسميدها (الجهد في النهار) ثم يقوم بسقايتها (بالدعاء والبكاء) فكما أن النبات لا ينمو بغير السقاية، كذلك الدعوة والجهد لا يثمر بغير سقايتها بدموع البكاء في الليل؛ ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴾(٢) في الليل، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴾(٣) في النهار.

- **وجاء ترتيب سورة المزمل قبل سورة المدثر** : لتفيد أن الدعاء قبل الدعوة مهم كما هو بعدها فبالبكاء تقضى الحوائج، مثال الطفل لا يتكلم وإنما إذا احتاج أي شيء فهو يبكي، للطعام يبكي، للنوم يبكي، للألم يبكي، فيستجاب له فقط بالبكاء، وهكذا الداعي يتوجه إلى الله بالبكاء فتقضى جميع حوائجه.

فلا بد للداعي من التبتل إلي الله، وهذا من لوازم الدعوة إلي الله.

- **ودليل قبولية الداعي عند الله** (ﷻ): أن يجد العبد نفسه يحب الخلوة مع الله والأنس به، ولا يريد أن يحول بينه وبين الله أحد، ويستلذ بالمناجاة مع الله، وبطول القيام في الصلاة وبطول الركوع والسجود، وبذكر الله عز وجل، وبتلاوة القرآن

---

(١) سورة المزمل _ الآيات من ١ : ٨.

(٢) سورة المزمل _ الآية ١.

(٣) سورة المدثر _ الآية ١.

الكريم، مصداقا لقول الله تعالي: { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ }(١).

ومع هذا التبتل والقنوت لله، لا بد أن ينغمس في خلق الله ويسبح في بحر الناس، لإخراجهم من الظلمات إلي النور، ومن الكفر والشرك إلي التوحيد، ومن البدعة إلي السنة، ومن المنكرات إلي المعروفات امتثالا لأمر الله (ﷻ) : { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ }(٢).

ويقوم بالدعوة إلي الله تعالي في خلقه، خلاف النفس (كره النفس) فهذا إن شاء الله من المقبولين، وهذا مرتبط مع الله عز وجل، ويربط الإنسانية مع الله ﷻ لا مع نفسه، أما الآخر الذي لا قدر الله ولا سمح الله إذ هو يستأنس بالناس، ولا يستأنس بالله، ولا يتبتل إلي الله تبتيلا، بل يستوحش من الخلوة مع الله ﷻ، ومن المناجاة مع الله طويلا، ومن ذكر الله وتلاوة القرآن، وتزداد الأمراض الشهوانية في نفسه من حب المال وحب الجاه والحسد والبغضاء والشحناء ويستأنس بالكلام مع الناس وبطول الجلسات مع الناس، فهذا غير مرتبط بالله ولا يربط الإنسانية مع الله، بل يربطهم مع نفسه، فدعوته غير مقبولة عند الله .

فندعو الله ﷻ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ) وأولهم الأنبياء وصراطهم الدعوة إلي الله ﷻ، ولكن ليس مجرد الدعوة، بل الدعوة بصفاتها

(١) سورة الزمر _ الآية ٩.
(٢) سورة النحل _ الآية ١٢٥.

المطلوبة عند الله من التواضع والخشية لله والرحمة والشفقة علي الخلق والأنس بالله والتبتل إلي الله وقيام الليل عملا بقوله تعالي: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ }(١).

وغيرها من الصفات الحميدة المحبوبة عند الله، وقد ذكر الله ﷻ بعض صفات الأنبياء عليهم السلام، مثلا قال في شأن أيوب عليه السلام: { إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ }(٢).

وقال تعالي في شأن إبراهيم: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ }(٣).وقال تعالى:{ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ }(٤). وقال في شأن إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام: { وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ * إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ }(٥).

وقال في شأن زكريا ويحي عليهما السلام: { وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ * فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ }(٦).

---

(١) سورة الشرح _ الآيتان ٧ ، ٨ .

(٢) سورة ص _ الآية ٤٤.

(٣) سورة هود _ الآية ٧٥.

(٤) سورة النحل _ الآيات من ١٢٠: ١٢٢.

(٥) سورة ص _ الآيات من ٤٥: ٤٧ .

(٦) سورة الأنبياء _ الآيتان ٨٩، ٩٠.

وذكر الله تعالي من شأن الأنبياء عليهم السلام وصفاتهم علي سبيل العموم أنهم ما كانوا يفتخرون بدعوتهم، وما كانوا يعجبون بدعوتهم، بل كانوا يستغفرون الله بعد الدعوة.

ويذكر الله تعالي ما عندهم من الحرص علي الهداية كما قال الله تعالي: { وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلاَّ أَن قَالُواْ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ }(١).

حتي أن الله ﷻ أخبر النبي (ﷺ) بنزول النصرة الغيبية ودخول الناس في دين الله أفواج، وأمره بالتسبيح والتحميد والاستغفار في نهاية جهده، مع أن التقصير في أداء الواجب، لا يمكن ولا يُتصور من الأنبياء عليهم السلام، ومن إمام الأنبياء (ﷺ)، ومع ذلك كانوا يستغفرون الله في نهاية جهدهم ، وأمر الله ﷻ نبيه بالاستغفار، ليس بسبب أنه كان مقصرا في جهده والعياذ بالله، بل تعليما لهذه الأمة، وأن هذه الأمة داعية إلي الله، كما قال الله ﷻ: جهد الرسول (ﷺ) قال تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ﴾ (٢)

والأنبياء عليهم السلام معصومون وأفراد هذه الأمة غير معصومين، نعم إن الأمة من حيثُ الأمة معصومة كما ورد في الحديث:" لا تَجْتَمِعُ أُمَّتِي عَلَى ضَلالَةٍ "(٣).

---

(١) سورة آل عمران _ الآيات من ١٤٦: ١٤٨.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠ .

(٣) رواه أحمد (٢٥٩٦٦) والطبراني في الكبير (٢١٧١) عن أبي بصرة الغفاري، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الفتن والملاحم، باب ذكر الفتن ودلائلها، حديث رقم ٤٢٥٣. وأخرجه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، حديث رقم٣٩٥٠، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله انظر السلسلة الصحيحة - مختصرة – جـ ٣ / ٣١٩.

ولكن أفرادها من حيثُ الانفرادية غير معصومين كما جاء في الحديث عَنْ أَنَسٍ(رضي الله عنه)، أنّ النبِيَ (ﷺ)، قال: " كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ " (١).

فالأمة أولي بالاستغفار، قال الله ﷻ :{ إِذَا جَاء نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }(٢).

فالحاصل أن صراط الأنبياء عليهم السلام هو الدعوة إلي الله، ولكن ليس مجرد الدعوة، بل بصفاتها ولوازمها المقبولة، والمطلوبة، والمحبوبة عند الله عز وجل. (٣).

ـ **والعلم النافع مثل [الثمار والفاكهة بالترتيب الصحيح]**: أما إذا كان الترتيب مخالف فإنها يستخرج منها المحرم مثل الخمر فقد يكون العلم وبالا على صاحبه بغير الترتيب الصحيح.

- **الدعوة لا تحتاج للملك والمال (لكل واحد لسان وقدمان)**: كان النبي ﷺ وأصحابه فقراء، وكذلك فقراء الهند (الميوات) أشد الناس فقرا وليس عندهم الملك قاموا بالدعوة .

✸كل شيء له موعد لا نستبق ونستعجل النصر:

- مثل نضج الثمار لا بد من وقت محدد، بعد البذر والسقاية يتبعه نظام الله الغيبي في الإنبات والنضج ينمو يوميا ونحنُ لا نشعر، فمتى يحين الوقت يكون الثمر.

---

(١) أخرجه الترمذي [٢٤٩٩]، وابن ماجه [٤٢٥١]، وأحمد [٣/١٩٨]،والمزي في تهذيبه، والحربي في غريب الحديث [٢/٧١٩]، وابن أبي شيبة [٣٤٢١٦]، وعبد بن حميد في المنتخب [رقم ١١٩٧]، وابن حبان في المجروحين [٢/١١١]، والحاكم [٤/٢٧٢]، عساكر في التوبة [رقم ٠١]، والكلاباذي= = في بحر الفوائد [رقم ٣٢٦]، وغيرهم من طرق عن زيد بن الحباب عن علي بن مسعدة عن قتادة عن أنس به. وصححه الحاكم، وحسنه الألباني.

(٢) سورة النصر – الآيات من ١ :٣ .

(٣) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري في الدعوة إلى الله بقلم المؤلف.

- علينا الجهد والنتيجة على الله (الله ما أمرنا بتحقيق النتيجة بل أمرنا بالجهد وعليه النتائج).

- **بالدين يكون الفوز والفلاح ، وبغيره يكون الخسران:**

١) **مثال؛ المُلك:** داوود وسليمان بالدين تحصلا على الفوز والفلاح في الدارين؛ وفرعون والنمرود بغير الدين تحصلا على الخسران والذلة في الدارين.

٢) **ومثال المال:** سيدنا عبد الرحمن بن عوف(صاحب رسول الله)، كان من الأغنياء، بالدين تحصل على البركة وفاز في الدارين؛ أما قارون بغير الدين تحصل على الخسارة والعذاب.

٣) **ومثال الزراعة:** الأنصار في المدينة تحصلوا على البركة والخير؛ أما قوم سبأ تحصلوا على هلاك ودمار بساتينهم وخسروا في الدنيا والآخرة.

٤) **ومثال الوزارة:** يوسف عليه السلام تحصل التمكين والنصر؛ أما هامان تحصل على الذلة والعذاب في الدارين.

❀ وخلاصة ما سبق تبين أن الدعوة هي:

- نداء الحق سبحانه وتعالى: للخلق ليوحدوا الله ويعبدوه.
- إظهار محاسن الإسلام وتحبيب الإيمان للنفوس.
- الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.
- تعريف الخلق بالخالق جل وعلا.
- ربط الخلق بالخالق جل وعلا.

- تهيئة القلوب لقبول أمر الرب المعبود جل جلاله.

* **النصيحة لا الفضيحة ، وبيان العقيدة الصحيحة: { النصيحة مسلك الأنبياء وخُلقهم دائماً }:** قال سيدنا هود (عليه السلام) لقومه: { أَبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ } (١).

- وقال سيدنا نوح (عليه السلام) لقومه: { أَبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ}(٢) .

- وقال سيدنا صالح (عليه السلام) لقومه: بعد أن أخلص لهم في النصح ولكنهم عقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم فحاق بهم عذاب الله: { يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ }(٣).

* تعريف وتبصير .. وتذكير وإنذار .. وتبشير لما يريده للناس.

* بلاغ الرسل وأمانة العلماء – علم وعمل.

* جهاد في سبيل الله وإعداد المسلمين للانتصار على أنفسهم وعلى أعدائهم.

* كلمة طيبة في قول رشيد، ورأى سديد وتوجيه صحيح، وعلم نافع وكتاب مفيد.

* وإذاعة طيبة، وكتاب مبارك مستمد من كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ.

* كل ذلك يدخل في قول الله تعالى:(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) (٤) (٥).

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٦٨.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٦٢.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ٧٩.

(٤) سورة فاطر _ الآية ١٠.

(٥) الدعوة إلى الله أهميتها – وسائلها - المؤلف : د/ فهد العصيمي - مع بعض الزيادات.

* والدعوة هي كشف حجب المادية عن القلوب والأبصار:

وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الندوي (رحمه الله): كان وجود الأمة الإسلامية في كل ناحية من نواحي العالم رمزا لحقيقة غير الحقائق المادية واللذات الجسدية، وكان كل فرد من أفراد هذه الأمة يعلن للعالم – وليدا أو ميتا – أن وراء القوى المادية قوة سماوية ووراء الحياة الفانية حياة خالدة، فإذا ولد وليد صرخ في أذنه بهذه الحقيقة، وإذا مات فارق الدنيا بهذه الشهادة. فإذا ساد هذا العالم جمود أشبه بالموت، وغاص الناس في بحر الحياة إلى أذقانهم، واختفت كل حقيقة وراء الحقائق المادية، اذا بصوت يُدوي:

(حَيَّ عَلَى الصَّلاةِ) (حَيَّ عَلَى الْفَلاحِ)

فينكسر طلسم العالم المادي، وتتجلى الحقيقة الروحية، ويجري الناس وراء هذا الصوت وقد نفضوا أيديهم من أشغالهم، وخروا أمام ربهم وإذا ضَرَبَ الليل رواقه ومد النوم أطنابه على هذا العالم الحي الصاخب، فإذا هو مقبرة واسعة ليس بها داع ولا مجيب، إذا بمعين الحياة ينصب في وادي الموات.

فينبلج الصبح الصادق في الليل الغاسق، وتتلقى الإنسانية الناعسة من مؤذن الفجر ساقي الحياة والنشاط والكدح والشكر والعبادة.

وإذا اغتر أحد بقوته وسلطانه وزها بكثرة ملئه وأعوانه، وقال بلسان المقال أو بلسان الحال:

(أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلى) (١)، أو (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلهٍ غَيْرِي) (٢).

---

(١) سورة النازعات _ الآية ٢٤.

(٢) سورة القصص _ الآية ٣٨.

قام رجل متواضع على منصة عالية في كل بقعة من بقاع مملكته أو نفوذه ونادى:

(اللهُ أَكْبَرُ .. اللهُ أَكْبَرْ)

فينادي بحكم الله في مملكته وبرغم أنف الإله الكاذب في سلطانه (١).

(١) إلى الإسلام من جديد لأبي الحسن الندوي صـ ٢٣ دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع بدمشق.

الدين الكامل

من أجل إسعاد البشرية كلها فى الدنيا والآخرة أنزل الله (ﷻ) دينه كاملاً، قال تعالى:{ اليَوْمَ أكمَلتُ لكمْ دِينَكمْ وَأتْمَمْتُ عَليْكمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكمُ الإِسْلامَ دِينًا }(١).

وجعل جهد الرسول الكريم (ﷺ) وعلى منهاجه سبباً وحيداً لنشر هذا الدين فى العالم كله إلى يوم القيامة.

وحيث أنه لا نبوة بعد النبى (ﷺ) فلا تنبغي النبوة لأحد بعد النبي(ﷺ)، لقول الله (ﷻ): ﴿ مَا كان مُحَمَّدٌ أبَا أحَدٍ مِنْ رِجَالِكمْ وَلكِنْ رَسُول اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكان اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً﴾(٢) .

يقول الدكتور/ نعمان أبو الليل(حفظه الله) مبينا مع هذه الآية: أى ليس معاملتكم لمحمد (ﷺ) معاملة الابن لأبيه ولكن معاملة النبوة والرسالة، فمعاملة الأب بأن تقبل يده، وتقدم له الطعام والشراب وتخدمه حتى يرضى عنك ولكن عليكم أن تعاملوا محمداً (ﷺ) معاملة خاتم النبوة بأن تحملوا هديه إلى المشارق والمغارب(٣).

ومن أجل ذلك: الله (ﷻ) اجتبى هذه الأمة وانتخبها واصطفاها لجهد النبى (ﷺ) ويتجلى ذلك واضحاً فى قول ربعى بن عامر (رضي الله عنه): لرستم قائد الفرس، عندما قال له ما الذى جاء بكم؟ قال ربعى: إن اللهَّ ابْتَعَثْنَا لِنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ مِنْ

---

(١) سورة المائدة » الآية ٣.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٤٠.

(٣) انظر كتاب كلمات مضيئة ، وكتاب الأنوار النعمانية _ بقلم المؤلف.

عِبَادَةَ الْعِبَادِ إِلَى عِبَادَةِ اللهَّ، وَمِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا إِلَى سِعَتِهَا، وَمِنْ جَوْرِ الْأَدْيَانِ إِلَى عَدْلِ الْإِسْلَامِ، فَأَرْسَلَنَا بِدِينِهِ إِلَى خَلْقِهِ لِنَدْعُوَهُمْ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَبِلَ ذَلِكَ قَبِلْنَا مِنْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضِيَ إِلَى مَوْعُودِ اللهَّ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللهَّ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لِمَنْ مَاتَ عَلَى قِتَالِ مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لِمَنْ بَقِيَ (١).

نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا }(٢)، يَوْمَ الْجُمُعَةِ، وَكَانَ يَوْمَ عَرَفَةَ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ سَنَةَ عَشْرٍ، وَالنَّبِيُّ (ﷺ) وَاقِفٌ بِعَرَفَاتٍ عَلَى نَاقَتِهِ الْعَضْبَاءِ: فَعَنْ طَارِقِ بْنِ شِهَابٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ فقال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّكُمْ تَقْرَؤُونَ آيَةً فِي كِتَابِكُمْ لَوْ عَلَيْنَا مَعْشَرَ الْيَهُودِ نَزَلَتْ لَاتَّخَذْنَا ذَلِكَ الْيَوْمَ عِيدًا، فَقَالَ: أَيُّ آيَةٍ هِيَ ؟ قَالَ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي) فقال عُمَرُ: وَاللهَّ، إِنِّي لَأَعْلَمُ الْيَوْمَ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ عَلَى رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) وَالسَّاعَةَ الَّتِي نَزَلَتْ فِيهَا عَلَى رَسُولِ اللهَّ (ﷺ) عَشِيَّةَ يَوْمِ عَرَفَةَ، فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ. متفق عليه(٣).

وقال القفال وَهُوَ الْمُخْتَارُ: أَنَّ الدِّينَ مَا كَانَ نَاقِصًا الْبَتَّةَ، بَلْ كَانَ أَبَدًا كَامِلًا، يَعْنِي كَانَتِ الشَّرَائِعُ النَّازِلَةُ مِنْ عِنْدِ اللهَّ فِي كُلِّ وَقْتٍ كَافِيَةً فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، إِلَّا أَنَّهُ تَعَالَى كَانَ عَالِمًا فِي أَوَّلِ وَقْتِ الْمَبْعَثِ بِأَنَّ مَا هُوَ كَامِلٌ فِي هَذَا الْيَوْمِ لَيْسَ بِكَامِلٍ

---

(١) البداية والنهاية» سنة أربع عشرة من الهجرة» غزوة القادسية - تجهيز رستم للخروج لسعد - فَصْلٌ فِي غَزْوَةِ الْقَادِسِيَّةِ .

(٢) سورة المائدة » الآية ٣.

(٣) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ صَبَّاحٍ. وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ، عَنْ عَبْدِ بْنِ حُمَيْدٍ ، كِلَاهُمَا عَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَوْنٍ.

فِي الْغَدِ وَلَا صَلَاحَ فيه، فَلَا جَرَمَ كَانَ يَنْسَخُ بَعْدَ الثُّبُوتِ وَكَانَ يَزِيدُ بَعْدَ الْعَدَمِ، وَأَمَّا فِي آخِرِ زَمَانِ الْمَبْعَثِ فَأَنْزَلَ اللهُ شَرِيعَةً كَامِلَةً وَحَكَمَ بِبَقَائِهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَالشَّرْعُ أَبَدًا كَانَ كَامِلًا، إِلَّا أَنَّ الْأَوَّلَ كَمَالٌ إِلَى زَمَانٍ مَخْصُوصٍ، وَالثَّانِي كَمَالٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلِأَجْلِ هَذَا الْمَعْنَى قَالَ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) .

وقَالَ أَصْحَابُ الْآثَارِ: إِنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ (ﷺ) لَمْ يُعَمَّرْ بَعْدَ نُزُولِهَا إِلَّا أَحَدًا وَثَمَانِينَ يَوْمًا، أَوِ اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ يَوْمًا، وَلَمْ يَحْصُلْ فِي الشَّرِيعَةِ بَعْدَهَا زِيَادَةٌ وَلَا نَسْخٌ وَلَا تَبْدِيلٌ الْبَتَّةَ، وَكَانَ ذَلِكَ جَارِيًا مَجْرَى إِخْبَارِ النَّبِيِّ (ﷺ) عَنْ قُرْبِ وَفَاتِهِ، وَذَلِكَ إِخْبَارٌ عَنِ الْغَيْبِ فَيَكُونُ مُعْجِزًا، وَمِمَّا يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَا رُوِيَ أَنَّهُ (ﷺ) لَمَّا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ عَلَى الصَّحَابَةِ فَرِحُوا جِدًا وَأَظْهَرُوا السُّرُورَ الْعَظِيمَ إِلَّا أَبَا بَكْرٍ ﷺ فَإِنَّهُ بَكَى فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ: هَذِهِ الْآيَةُ تَدُلُّ عَلَى قُرْبِ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ (ﷺ) فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الْكَمَالِ إِلَّا الزَّوَالُ، فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى كَمَالِ عِلْمِ الصِّدِّيقِ حَيْثُ وَقَفَ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ عَلَى سِرٍّ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ غَيْرُهُ (١).

وقال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): **قَوْلُهُ سُبْحَانَهُ** (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) ظَاهِرُهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ أُمُورَ الدِّينِ كَمُلَتْ عِنْدَ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَهِيَ قَبْلَ مَوْتِهِ (ﷺ) بِنَحْوِ ثَمَانِينَ يَوْمًا، فَعَلَى هَذَا لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْكَامِ شَيْءٌ، وَفِيهِ نَظَرٌ، وَقَدْ ذَهَبَ جَمَاعَةٌ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِكْمَالِ مَا يَتَعَلَّقُ بِأُصُولِ الْأَرْكَانِ لَا مَا يَتَفَرَّعُ عَنْهَا(٢).

---

(١) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب » سورة المائدة » قوله تعالى اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون.

(٢) فتح الباري (٢٤٦/١٣) .

فَلَا شَكَّ أَنَّ أَمْرَ الْإِسْلَامِ بَدَأَ ضَعِيفًا. ثُمَّ أَخَذَ يَظْهَرُ ظُهُورَ سَنَا الْفَجْرِ، وَهُوَ فِي ذَلِكَ كُلِّه دينٌ، يُبَيِّنُ لأَتْبَاعه الْخَيْرَ وَالْحَرَامَ وَالْحَلَالَ، فَمَا هَاجَرَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) إِلَّا وَقَدْ أَسْلَمَ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَمُعْظَمُ أَهْلِ الْمَدِينَة، فَلَمَّا هَاجَرَ رَسُولُ اللهَّ أَخَذَ الدِّينُ يَظْهَرُ فِي مَظْهَرِ شَرِيعَةٍ مُسْتَوْفَاة فِيهَا بَيَانُ عِبَادَةِ الْأُمَّة، وَآدَابِهَا، وَقَوَانِينَ تَعَامُلِهَا، ثُمَّ لَمَّا فَتَحَ اللهُّ مَكَّةَ وَجَاءَتِ الْوُفُودُ مُسْلِمِينَ، وَغَلَبَ الْإِسْلَامُ عَلَى بِلَادِ الْعَرَبِ، تَمَكَّنَ الدِّينُ وَخَدَمَتْهُ الْقُوَّةُ، فَأَصْبَحَ مَرْهُوبًا بَأْسُهُ، وَمَنَعَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الْحَجِّ بَعْدَ عَامٍ، فَحَجَّ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) عَامَ عَشَرَةٍ وَلَيْسَ مَعَهُ غَيْرُ الْمُسْلِمِينَ، فَكَانَ ذَلِكَ أَجْلَى مَظَاهِرِ كَمَالِ الدِّينِ: بِمَعْنَى سُلْطَانِ الدِّينِ وَتَمْكِينِه وَحِفْظِه، وَذَلِكَ تَبَيَّنَ وَاضِحًا يَوْمَ الْحَجِّ الَّذِي نَزَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةُ .

لَمْ يَكُنِ الدِّينُ فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ غَيْرَ كَافٍ لأَتْبَاعه: لأَنَّ الدِّينَ فِي كُلِّ يَوْمٍ، مِنْ وَقْتِ الْبَعْثَة، هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْمِقْدَارِ الَّذِي شَرَعَهُ اللهُّ لِلْمُسْلِمِينَ يَوْمًا فَيَوْمًا، فَمَنْ كَانَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ آخِذًا بِكُلِّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ فِي وَقْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ فَهُوَ مُتَمَسِّكٌ بِالْإِسْلَامِ، فَإِكْمَالُ الدِّينِ يَوْمَ نُزُولِ الْآيَةِ إِكْمَالٌ لَهُ فِيمَا يُرَادُ بِه، وَهُوَ قَبْلَ ذَلِكَ كَامِلٌ فِيمَا يُرَادُ مِنْ أَتْبَاعِه الْحَاضِرِينَ. (١) .

ويعني هذا أن ما يكون مطلوباً من مؤمن ما في ظرف من الظروف، هو الدين الكامل المطلوب منه، في ذلك الظرف.

أما الدين الكامل، والذي نزل نهائياً، فهو الذي يراعي أحكام جميع الأحوال الممكنة الحدوث بالنسبة للمؤمن، وتكون مطلوبة منه كلما كان في استطاعته تنفيذها.

---

(١) تفسير القرآن » التحرير والتنوير محمد الطاهر ابن عاشور» سورة المائدة » قوله تعالى اليَوْمَ أكمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا .

فإذا كان أحد المؤمنين كامل الإيمان والتقوى، فهو صاحب الدين الكامل.

أما إذا حدث ولم يكتمل لديه النصاب حتى يدفع الزكاة، ولم تحن الفرصة حتى يحضر في المحكمة ليدلي بالشهادة الصادقة، ولم تسمح له الظروف بتقسيم التركة، فإن هذه الحالات لن تؤثر في كمال دينه، لأنه يؤمن بجميع الأحكام إيماناً صادقاً، وهو مستعد في قرارة قلبه لتنفيذها كاملاً، كلما خلق الله له ظروفاً تستدعي ذلك(١).

أولا: الدين الكامل الذي كان عند الصحابة الكرام:

هو مجموعة الشعب الآتية:

١) حقيقة الإيمان واليقين:

أن نتيقن علي الله ﷻ ولا نعتمد إلا عليه.. ولا نثق إلا فيه.. ولا نرجو غيره.. ولا نخاف إلا منه.. ولا نحب سواه .. ولا نستعين بغيره ولا نعبد غيره .. ولا نسجد إلا له .. ولا ننذر ولا نعتصم إلا به . . ولا نكبر غيره ، والله ﷻ أمر نبيه ﷺ قال تعالى ﴿ يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾ (٢) فقدم لفظ ربك على التكبير، وهذا يُفيد الحصر .. أي لا تكبر غير ربك .

إن حقيقة الإيمان وحقيقة الدين في حياة الأمة أعظم ثروة يجب أن يحرص عليها الإنسان، لأن بها معية الله تعالى .

فالإيمان الصحيح ليس إدعاءا أجوف، ولا كلمة تردد على اللسان، فبنوا اسرائيل قالوا بألسنتهم : ﴿ وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكلوا إِن

(١) حكمة الدين وحيد الدين خان.

(٢) سورة المدثر : الآيات ١ ، ٢ ، ٣ .

كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ * فقالوا عَلى اللهِ تَوَكلنَا رَبَّنَا لا تَجْعَلنَا فِتْنَة لِلقَوْمِ الظالِمِينَ * وَنَجِّنَا بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (١) .

فهنا هم طلبوا النجاة فقط، وما طلبوا العزة والنصرة، لم تكن لهم همم عالية .

إن حقيقة الإيمان ألا تجعل لله ندا و لا صنما و لا شريكا، فالصنم كان امتحانا للمشركين، أما في زماننا هذا فالصنم هي مشاغل الدنيا وأسبابها التي ابتلينا بها، في الإمتحان، لأن ذلك لا يعبد فيه المسلمون صنما، ولكن أسبابا يعتمدون عليها، ومشاغل قدموها على أمر الله فشاركوا الله مع غيره، أو اتخذوا أسبابهم ندا، واليقين لا يرسخ في القلب إلا بالدوام على المذاكرة، بأن نذكر الله بألسنتنا وفي قلوبنا ومع الناس، أما أن نذكر الله بألسنتنا ثم نكبر المادة بقلوبنا فهذا هو الشرك، لكن الصحابة ــ رضي الله عنهم ــ صغروا المادة وعظموا الله فهابتهم الأسود.

فمعية الله بالصفات الإيمانية : (الصبر .. والتقوى.. والإحسان) وهذا هو زبدة الإيمان .

وأنا أقول أن الإيمان بذات الله : أن لا نعتمد على غير الله ، ولا رجاء بغير الله ولا استعانة بغير الله ، ولا نسجد إلا لله، ولا نقوم لغير الله فإذا أخرجنا من قلوبنا الخوف من غير الله والرجاء من غير الله بعد ذلك تأتينا نصرة الله.

ونعلم أن سيدنا محمد ﷺ وجميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ركزوا جهدهم على تعليم الأمة الإيمان وأخذوا أضعاف وقت تعليمهم الأعمال.

فهذا الإيمان الحقيقي كان يقيمهم على أوامر الله عز وجل ويحجزهم عن محارمه،

---

(١) سورة يونس – الآيات ٨٤ :٨٦ .

والجهد والمجاهدة لتحصيل هذا الإيمان فرض عين على كل مسلم ومسلمة(١).

٢) حقيقة العبادات: حيث كان في حياة الصحابة الصلاة الحقيقية التي تنهاهم عن الفحشاء والمنكر، وتكون سببا في قضاء حوائجهم، فإذا أرادوا نزول المطر صلوا صلاة الاستسقاء، وإذا رأوا كسوفا للشمس أو خسوفا للقمر صلوا صلاة الكسوف والخسوف، وإذا كانت لهم حاجة صلوا صلاة الحاجة، وإذا تحيروا بين أمرين أيهما أنسب صلوا صلاة الاستخارة، وإذا خرج على أحدهم لص أو قاطع طريق صلوا واستغاثوا بالله ليخلصهم الله منه .. وهكذا.

والصوم عندهم ليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب والشهوة بل كما أراد الله من حصول التقوى بسببه، حيث يتمرن المسلم والمسلمة شهرا كاملا على الأقل كل عام على تقوى الله ومراقبته فى السر والعلانية.

ربما يكون المسلم وحده في بيته لا يراه أحد وأمامه الطعام والشراب، وهو في شدة الجوع والعطش لكنه صائم فلا يأكل ولا يشرب لأنه يتقى الله ويراقبه، وهكذا ، شهرا كاملا في الفريضة غير النوافل فيتربى في المسلم وازع التقوى والمراقبة.

والزكاة عندهم عبادة مالية تؤدى ثمرتها في نفوسهم حيث يخرج بها الشح من النفس وتطهر صاحبها وتزكيه، فيمشى بها إلى الفقير في خشوع وتذلل كما يمشى إلى الصلاة فيطلب من الفقير أن يأخذ حقه الذى شرعه الله له .

والحج عندهم عبادة حقيقية، تؤتى ثمرتها في حياتهم، وتذكرهم بالانتقال إلى الآخرة، حيث يتجرد الجميع من كل مظاهر الزينة ويلبس ما يشبه الكفن ويتضرع إلى الله تعالى بالتلبية والدعاء فيرجع من رحلته كيوم ولدته أمه طاهرا زكيا .

---

(١) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري بقلم المؤلف.

وذكر الله في حياتهم ذكرا حقيقيا يستحضر به صاحبه عظمة الله وخشيته.

وتلاوة القرآن تلاوة حقيقية تعمل عملها في قلوبهم وفى حياتهم .

٣) المعاملات الإسلامية الصحيحة: حيث كانت المعاملات اليومية للمسلم والمسلمة معاملات إسلامية صحيحة فلا يتعاملون بالربا ولا بالرشوة ولا يطففون المكيال والميزان ولا يبخسون الناس أشياءهم، ولا يغشون في بيعهم وشرائهم، ويتحرون الحلال في مأكلهم ومشربهم وملبسهم بل كانوا أحيانا يتركون تسعة أعشار الحلال مخافة أن يقعوا في الحرام، كما وجههم النبي (ﷺ) في ذلك قائلا: " لا يَبْلغ العَبدُ أن يَكون منَ المتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لا بَأسَ بِهِ ، حَذرا مِمَّا بِهِ بَأسٌ " رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

وقوله(ﷺ):" إن الحَلاَل بَيِّنٌ، وَإن الحرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبَهَاتٌ لا يَعْلمُهُنَّ كثيرٌ مِنَ النَّاسِ، فمَنِ اتَّقى الشُّبُهَاتِ، اسْتَبْرَأ لِدِينهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ في الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى يُوشِكُ أنْ يَرْتَعَ فِيهِ، ألاَ وَإنَّ لكُلّ مَلِكٍ حِمَىً، ألاَ وَإنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، ألاَ وَإنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إذَا صَلَحَت صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، ألاَ وَهِيَ القَلْبُ " متفقٌ عَلَيْهِ .

٤) المعاشرات الإسلامية الصحيحة: حيث كانوا في مجموعهم يتعاشرون فيما بينهم معاشرة طيبة ممتثلين التوجيهات القرآنية والنبوية في هذا الباب في مثل قوله تعالى﴿ يَا أَيُّهَا الذِينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قومٌ مِّن قوْمٍ عَسَى أن يَكونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئسَ الاِسْمُ الفسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فأوْلئِكَ هُمُ الظالِمُون * يَا أَيُّهَا

الذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظنِّ إِن بَعْضَ الظنِّ إِثمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبَّ أَحَدُكُمْ أن يَأْكلَ لحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴾ (١) .

وفى معاشرة الزوجات {وَعَاشِرُوهُنَّ بِالمَعْرُوفِ} (٢)،وفى مثل قول: رَسُول الله ﷺ: " مَنْ كان يُؤْمِنُ بالله وَاليَومِ الآخرِ، فلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كان يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليَومِ الآخِرِ، فلْيَقُلْ خَيْرا أَوْ لِيَسْكُتْ " مُتَّفَقٌ عَليهِ .

يقول الشيخ محمد إلياس [رحمه الله]: إن سوء ظن المسلم العادى بدون سبب يؤدى إلى الهلاك ، فما بالك حينما يعترض الإنسان على العلماء بدون معرفة حقيقة، فهذا أمر شديد الخطر، وإن (إكرام المسلم) وتكريم العلماء وأهل الدين يعد فى منهجنا التبليغى من أهم المبادىء الأساسية فأكرموا كل مسلم لمجرد إسلامه وإيمانه، وبجلوا العلماء لأنهم حاملوا أمانة النبوة وورثتها،(رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلإِخْوَاننَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ) .

٥) الأخلاق الإسلامية: حيث كانت أخلاقهم كريمة عظيمة ففيهم من الصفات الطيبة ما هو معروف ومشهور عنهم كالصدق والأمانة والعفة والطهارة والرحمة والصبر والشكر وحسن الجوار وبر الوالدين وصلة الأرحام والإكرام والإيثار وسائر الأخلاق الإسلامية المعروفة.

---

(١) سورة الحجرات – الآيتان ١١ ، ١٢.

(٢) سورة النساء – من الآية ١٩.

يقول الشيخ/ محمد إلياس ـ رحمه الله ـ : إن من أهم أصول دعوتنا أن نقوم بالدعوة فى جميع الطبقات ، مراعيا مكانة كل طبقة ودرجتها التى أكرمها الله من فضله وكرمه ــ والقصد هنا أن يكلم الناس على قدر عقولهم وقدر فهمهم ، مع الإعتدال فى فرق المراتب ــ ومن الممكن أن نقسم الطبقات إلى ثلاثة أقسام ، وهى :

١ـ طبقة البسطاء المساكين .

٢ـ طبقة المتوسطين من أهل المناصب والمكانة العليا .

٣ـ طبقة علماء الدين .

فخلاصة التعامل مع هذه الطبقات هى ما جاء فى الحديث: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ):" لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيُوَقِّرْ كَبِيرَنَا وَيَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَ عَنْ الْمُنْكَرِ " قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ(١).

فحق الطبقة الأولى : الرحمة والخدمة .

وحق الطبقة الثانية : الأدب والتوقير .

وحق الطبقة الثالثة : الإحترام والتعظيم .

كانت هذه الشعب كلها في حياتهم وهى ما يمكن تسميته (بالدين الكامل) .

والدعوة مثل الماء في أصول الشجر والنبات، فالماء لما يصل مستمراً إلى أصول الأشجار والنبات، فتخضرُ به الفروع والأوراق والغصون وتثمر الأشجار، وهكذا الدعوة تحيا بها جميع الشعب.. وبهذه الشعب استحقوا نصرة الله عز وجل.

يقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): الدين الإسلامي مثاله،

---

(١)سنن الترمذي» كتاب البر والصلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» باب ما جاء في رحمة الصبيان(١٩٢١).

مثل الشجرة، قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السماء تُؤْتِيَ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (١)

وشجرة الإسلام	
أرضها	الدعـــوة إلي الله ﷻ .
جذرها	الإيمـانيـــــــات
فروعها	أركـــان الإســـــلام
أغصانها	المعامـــلات الإسلاميـــة
أوراقها	المعاشـــرات الإســـلامية
ثمارها	الأخلاق الحســـــــنة
عصيرها	الإخلاص لرب البريـــــة
سمارها	التضحيـــــة بالنفـــس والمـــال والوقت
ماءها	حلقـ ـ ـات التعليـــــم(في المسجد، وفي البيت)
بيئتها	ذكر الله ﷻ وتلاوة القرآن والبكاء في الليل بين يدي علام الغيوب.
الحائط المحيط بها	التجنب علي النفسانية والشهوانية لحفاظة شجرة الإسلام.

١) سورة إبراهيم - الآية ٢٥ .

فلما قام النبي ﷺ بالدعوة إلي الله ﷻ، فغير المسلمين دخلوا في الإسلام ، وكان المسلمون يلتزمون بالدين ١٠٠٪ .. والذين كانوا يلتزمون بالدين كان عندهم حقيقة الدين، لا صورة الدين .

ولما بعضهم ترك الدعوة إلي الله ﷻ ، حدث النقص.. الذين كانوا لا يدخلون في الدين لا يدخلون، والمسلمون الذين كانوا يلتزمون بالدين، أصبحوا لا يلتزمون بالدين ، وأصبح أكثرهم ليس عندهم حقيقة الدين (١).

ثانيا: الشعور بمسئولية الدين { والقيام بهذه المسئولية وحمل أمانة الدعوة والتبليغ }:أول مسئولية: فِي الإسلام بعد الشهادة: الدعوة إلى الله عز وجل.. قَالَ الشيخ محمد إلياس الكاندهلوى (رحمه الله): كل مسلم مسئول عَن الأمة .. وكل الأمة مسئولة عَن كل مسلم ، وهكذا تجتمع الأمة.

وقَالَ أيضا (رحمه الله): آفة الأمة أنها تيقنت عَلي أنها لَيْسَت مسئولة عَن الدّين، ونتيجة لهذا اليقين تبدلت المسئولية مِنْ الدّين للأولاد والزوجات وحاجات الدنيا، علماً بأن لو مات النّاس مِن الجوع لم يحاسبك الله عز وجل عليهم، ولّكَن لو مات الدّين فِي قلوب النّاس ، فالله عز وجل يُحاسبك عليهم.

والمسئولية نُقلت إلينا بسبب:

١ – ختم النبوة .

٢ – رسالة النبوة رحمة للعالمين.

٣ – اختيار الله عز وجل لنا قَالَ تعالى: (هُوَ اجْتَبَاكُمْ).

---

(١) روائع العلامة محمد عمر البالمبوري للمؤلف .

والمسئولية كَانَتَ واضحة فِي حياة الرَسُول كلها: (أكله . شرابه . ليله . همه . فكره . حزنه . سروره) .

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ حُدِّثَ : أَنَّ قُرَيْشًا حِينَ قَالُوا لِأَبِي طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ ، بَعَثَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ لَهُ : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي ، فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، لِلَّذِي كَانُوا قَالُوا لَهُ ، فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ ، وَلَا تُحَمِّلْنِي مِنْ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ ؛ قَالَ : فَظَنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيهِ بَدَاءٌ أَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ وَالْقِيَامِ مَعَهُ . قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا عَمِّ ، وَاَللَّهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي ، وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللَّهُ ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ ، مَا تَرَكْتُهُ قَالَ : ثُمَّ اسْتَعْبَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَبَكَى ثُمَّ قَامَ ، فَلَمَّا وَلَّى نَادَاهُ أَبُو طَالِبٍ ، فَقَالَ : أَقْبِلْ يَا ابْنَ أَخِي، قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : اذْهَبْ يَا ابْنَ أَخِي ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ ، فَوَاَللَّهِ لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا (١).

لم يقل الرَسُول (ﷺ) ذَلّكَ إلا للمسئولية اَلّتِي فُرضت عليه وتحملها، فكَانَ لا تراه إلا غادياً أو رائحاً، محزوناً مهموماً وذَلّكَ مِنْ دافع المسئولية اَلّتِي أنا وأنْتَ والأمة شركاء مَعَهُ فيها بسبب أنه خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ وأمته أخر الأمم، قَالَوا عَنْهُ مَجنون، كاذب، ساحر، ولّكَنه تحمل مِنْ أجل مسئولية الدين ثلاث سَنّوات فِي حصار شعب أبى طالب وما عاناه الرسول (ﷺ) فِي الطائف . . وكسرت رباعيته (ﷺ) وشج وجه الشريف ، وطلقت بناته .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام» مباداة رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه وما كان منهم» [طلبُ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكفَّ عَنْ الدَّعْوَةِ وَجَوَابُهُ لَهُ].

وحَديث الإفك مَعَ أحب زوجاته إليه، وتحمل كل هذا منْ أجل مسئولية الدين.

كم قاسى الرَسُول (ﷺ) منْ أجل الأمة وكم بكى الرَسُول (ﷺ) منْ أجل الأمة .. فعَنْ عَبْد اللهَّ بْن عَمْرو بْن الْعَاص (رضي الله عنه) : أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) تَلَا قَوْلَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ (رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي) الْآيَةَ، وَقَالَ عِيسَى (عَلَيْه السَّلَام): (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) فَرَفَعَ يَدَيْه وَقَالَ : اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي . وَبَكَى . فَقَالَ اللهَّ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّد - وَرَبُّكَ أَعْلَمُ - فَسَلْهُ مَا يُبْكِيكَ . فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْه السَّلَام فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهَّ (ﷺ) بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ . فَقَالَ اللهَّ : يَا جِبْرِيلُ اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّد فَقُلْ :(إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ) (١).

ما فعل الرَسُول (ﷺ) هذا ، وما دعا بذاك إلا لعلمه أن الأمة مسئولة عَنْ تبليغ الدّين بعد موته فِي كل الخلق وفِي كل الأرض إلى يوْمِ القيامة .

حَتّي كَانَ القرآن ينزل فِي كثير الأحيان ليخف عَنْ حزنه وغمه بسبب إعراض النّاس عَن الحق .

والرَسُول (ﷺ) ربى الصحابة الّكَرام عَلي تحمل هذه المسئولية: (أمانة الدّين).

حَتّي كَانَ يسألهم (ﷺ) : كم تركت لأهل بيتك؟ ولم يسألهم ما قَدْمت للدّين؟ وكَانَ الرسول (ﷺ) يُعلمهم ويُرسخ فِي قلوبهم أن كل ما يملّكَون فِي الأصل هُوَ ملّكَ لمسئولية الدّين .

---

(١) كتاب الإيمان» باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وبكائه شفقة عليهم(٢٠٢).

وفي غزوة بدر الرسول (ﷺ) بلغت أضطارنا وفكرنا إثناء الجهد فيقول لله عز وجل، كما جاء: عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ قَالَ حَدَّثَنِي عُمَرُ ابْنُ الْخَطَّابِ قَالَ لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللَّهِ (ﷺ) الْقِبْلَةَ ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: " **اللَّهُمَّ إِ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِ آتِ مَا وَعَدْتَنِي اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ** " فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ وَقَالَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ فَأَمَدَّهُ اللَّهُ بِالْمَلَائِكَةِ**) (١)، وكأنه (ﷺ) يعلمنْا أن الجماعة سواء كبرت أو صغرت فهي مسئولة عَنْ عبودية الله في الأرض حَتّي يوْمِ القيامة .

وفِي الحَدِيثُ قَالَ النَّبِيُّ (ﷺ): " **.....فَإِنَمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِرِينَ** "(٢) . وكَانَ الرَسُول (ﷺ) يُعطى الأمة هدايات المسئولية .

وفِي قوله (ﷺ): (**وَلْيُبَلِغ الشَاهِدُ الغَائِبَ**) [(١)] وهذا بيان لنا لاستمرار سلسلة الدعوة إلى كل الخلق فِي كل الأرض إلى يوْمِ القيامة .

---

(١) صحيح مسلم» كتاب الجهاد والسير» بَاب الإِمْدَادِ بِالمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الغَنَائِمِ (١٧٦٣).

(٢) صحيح البخاري» كِتَاب الوُضُوءِ» بَاب صَبِّ المَاءِ عَلَى البَوْلِ فِي المَسْجِدِ ... (٢١٥).

فالرَسُول (ﷺ) اجتهد عَلي أبى بكر ثم اجتهد أبى بكر عَلي ستة مِن المبشرين بالجَنّة ودعا الرَسُول ﷺ أبو ذر الغفاري، ثم دعا أبو ذر الغفار ثلاث قبائل فأسلموا.

وهذا عمرو بن الجموح وهُوَ معذور مِنْ قِبَلِ الله ولّكنه مِنْ دافع المسئولية يخرج يوْمٍ أُحُد ويستشهد .

وهذا بلال بن رباح وهُوَ يُعَذبْ مِنْ أمية بن خلف كَانَ يقول أَحَدٌ . أَحَدٌ وكأنه يَدعو إلى الله حَتّي وهُوَ يُعَذبْ وما ذاك إلا مِنْ دافع المسئولية .

وصهيب الرومي لما مَنعته قريش مِن الهجرة ترك لهم كل ماله حَتّي يخلوا سبيله وما هذا إلا لمسئولية الدّين .

وعَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ: " دَخَلَ خَبَّابٌ عَلَى عُمَرَ بنِ الْخَطَّابِ فَأَجْلَسَهُ عَلَى مُتَّكَئِه وَقَالَ: " مَا عَلَى الأَرْضِ أَحَدٌ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَجْلِسِ مِنْ هَذَا إلا رَجُلٌ وَاحِدٌ "، قَالَ لَهُ خَبَّابٌ : مَنْ هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ قَالَ: " بِلالٌ "، قَالَ: فَقَالَ لَهُ خَبَّابٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، مَا هُوَ بِأَحَقِّ مِنِّي، إِنَّ بِلالا كَانَ لَهُ فِي الْمُشْرِكِينَ مَنْ يَمْنَعُهُ اللهُ بِه، وَلَمْ يَكُنْ لِي أَحَدٌ يَمْنَعُنِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي يَوْمًا أَخَذُونِي وَأَوْقَدُوا لِي نَاراً، ثُمَّ سَلَقُونِي فِيهَا ، ثُمَّ وَضَعَ رَجُلٌ رِجْلَهُ عَلَى صَدْرِي ، فَمَا اتَّقَيْتُ الأَرْضَ، أَوْ قَالَ: بَرْدَ الأَرْضِ إِلا بِظَهْرِي، قَالَ: ثُمَّ كَشَفَ عَنْ ظَهْرِه فَإِذَا هُوَ قَدْ بَرِصَ (٢). .

---

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري» كتاب العلم» بَاب لِيُبَلِّغ العِلمَ الشاهِدُ الغائِبَ قالهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٠٤).

(٢) جزء من حديث في صحيح البخاري» كتاب العلم» بَاب لِيُبَلِّغ العِلمَ الشاهِدُ الغائِبَ قالهُ ابْنُ عَبَّاسٍ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (١٠٤).

ومَعَ ذَلكَ لم يترك الخباب الجهد لغريزة مسئولية الدين في قلبه .

وانظر في حياة آل ياسر: عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ ، قَالَ : فَحَدَّثَنِي رِجَالٌ مِنْ آلِ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ ، أَنَّ سُمَيَّةَ أُمَّ عَمَّارٍ ، عَذَّبَهَا هَذَا الْحَيُّ مِنْ بَنِي الْمُغِيرَةِ عَلَى الإِسْلامِ ، وَهِيَ تَأْبَى حَتَّى قَتَلُوهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، يَمُرُّ بِعَمَّارٍ ، وَأَبِيهِ ، وَأُمِّهِ ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ بِالأَبْطَحِ فِي رَمْضَاءِ مَكَّةَ ، فَيَقُولُ : " صَبْرًا يَا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ " (١). وكل هذا منْ دافع مسئولية الدين .

والرَسُول (ﷺ) بشر عكاشة بن محصن بأنه سيدخل الجَنّة بغير حساب ومَعَ ذَلكَ عكاشة بن محصن لم يترك الجهد ولم يركن لذَلكَ بل ظل في الدعوة والجهد حَتّي مات شهيداً ودفن في السودان .

وعقبة بن نافع هو الذي وقف على المحيط الأطلنطي على فرسه، يقول: والله لو أعلم أن وراءك أرضاً لخضت بفرسي هذا البحر لأرفع لا إله إلا الله. إنها مسئولية الدين .

فالصحابة الّكَرام تحملوا الشدائد والصعاب والمصائب والمتاعب والألأم . والآن إذا وجد الله في قلوبنا الاستعداد لتحمل مسئولية الدين لفتح علينا أبواب الفكر (فكر المسئولية) .

فإذا جاء فكر المسئولية .. جاء البكاء الطويل بالليل للّه عَلي التقصير فيما فات وجاء الاستعداد لأداء المسئولية وتحركنا لجهد الهداية . فالله يَقبلنا ويجعلنا سبب هداية لكَل النّاس .

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي» السَّادِسَ عَشرَ مِنْ شعَبِ الإِيمَانِ، رقم الحديث:(١٥١١).

فهذا جهد المسئولية .. ولَيْسَت المسئولية: (جولة . شوري . ثلاثة أيام . أربعة شهُوَر . زيارات . وقت يومي) لا: بل المسئولية المال كله .. الليل كله ..النهار كله .. العمر كله .. الفكر كله .. أن يكون عمل الدعوة مقصد حياة .. ولا يكون عمل الدعوة مقصد حياة إلا إذا تركت كل شيء مِنْ أجل هذا الجهد ولا تترك هذا الجهد مِنْ أجل أي شيء.

وهذا هو الأمر الثاني الذى كان في حياة الجيل الأول من هذه الأمة ـ أي الذى كان عليه رسول الله (ﷺ) وأصحابه حيث كان الاستعداد الكامل عند جميع طبقات الأمة للقيام بمتطلبات الدين فى جميع الأحوال، في العسر واليسر، في المنشط والمكره، في الليل والنهار، في الحر والبرد في الفقر والغنى، في الصحة والمرض، حيث كان كل فرد من هذه الأمة يشعر شعورا كاملا أنه مسئول عن دينه، فكما أن المسلم بصفته أبا فهو مسئول عن أبنائه، وبصفته زوجا فهو مسئول عن زوجته، وبصفته مزارعا فهو مسئول عن زراعته، وبصفته تاجرا فهو مسئول عن تجارته، وبصفته موظفا فهو مسئول عن وظيفته، وكذلك بصفته مسلما مسئول عن إسلامه ولكنه ـ للقيام بهذه المسئوليات ـ لا يكتفى بالكلام والألفاظ فقط، بل يستعمل وقته وماله وجهده وفكره وجميع صلاحيته للوفاء بهذه المسئوليات فإذا اقتضى الأمر أن يكون موجودا وسط زراعته في البرد الشديد أو الحر الشديد فإنه يتحمل عن طيب خاطر هذه المشقات ولا يبالى بها .

كذلك إذا تطلبت حاجة الدين أن يتحرك لإعلاء كلمة الله فهو لا يبالى أيضا بالصعوبات والمشقات التي يتحملها في سبيل الله .

إذا سمع أحدهم النداء: **الصَّلاَةُ جَامِعَةً** (١)، أو **حَيِّ عَلَى الْجِهَادْ**، أو **" يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي "**(٢)، يسارع فورا إلى تلبية هذا النداء المحبب إلى قلبه

---

(١) فهذه الجملة (الصَّلاة جَامِعَة) معناها: اجتمعوا للصلاة، قال ابن علان في شرح رياض الصالحين: قال القرطبي: خبر بمعنى الأمر كأنه قال اجتمعوا للصلاة.

وعندما يجتمعون يصلي بهم ثم يحدثهم بما جمعهم له، كما في قصة الجساسة التي أخبر بها تميم الداري بعد ما أسلم في حديث فَاطِمَةَ بِنْتَ قَيْسٍ الطويل الذي رواه مسلم وغيره قالت: سَمِعْتُ نِدَاء الْمُنَادِي ــ مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ ــ يُنَادِي: الصَّلاَةُ جَامِعَةً، فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَصَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ... فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ الله ﷺ صَلاَتَهُ، جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَهُوَ يَضْحَكُ، فَقَالَ: لِيَلْزَمْ كُلُّ إِنْسَانٍ مُصَلاَهُ، ثُمَّ قَالَ: أَتَدْرُونَ لِمَ جَمَعْتُكُمْ؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِنِّي، وَاللهِ مَا جَمَعْتُكُمْ لِرَغْبَةٍ وَلاَ لِرَهْبَةٍ، وَلَكِنْ جَمَعْتُكُمْ، لأَنَّ تَمِيمًا الدَّارِي، كَانَ رَجُلًا نَصْرَانِيًّا، فَجَاءَ فَبَايَعَ وَأَسْلَمَ، وَحَدَّثَنِي حَدِيثًا وَافَقَ الَّذِي كُنْتُ حَدَّثْتُكُمْ عَنْ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.. الحديث.وكما في حديث عَبْد الله بْن عَمْرو بْن الْعَاص في صحيح مسلم قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِهِ، إِذْ نَادَى مُنَادِي رَسُولِ الله ﷺ: الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعْنَا إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيٌّ قَبْلِي إِلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أَنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَى خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ، وَيُنْذِرَهُمْ شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لَهُمْ... الحديث.=

= وذكر شراح الحديث هنا أنه صلى بهم، قال ابن علان: فلما جاؤوا صلوا معه، وسكت الراوي عن ذلك، وإلا فمن المحال أن ينادي منادي الصادق بالصلاة، ولا صلاة. اهـ

وكان ينادى بها للصلاة المفروضة وللاجتماع للأمور الهامة ــ كما رأيت ــ فلما شرع الأذان خص بالصلوات الخمس، وبقيت الصلاة جامعة للصلوات غير المفروضة كصلاة الكسوف وغيرها عند بعض أهل العلم، (الفتوى رقم: ٢٨٤٩٤٤ ـ موقع إسلام ويب).

(٢) عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ النبيَّ (ﷺ) سَمَّى خَيْلَنَا خَيْلَ اللهِ إِذَا فَزِعْنَا وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ يَأْمُرُنَا إِذَا فَزِعْنَا بِالْجَمَاعَةِ وَالصَّبْرِ وَالسَّكِينَةِ وَإِذَا قَاتَلْنَا (سنن أبي داود» كتاب الجهاد» بَاب فِي النِّدَاءِ عِنْدَ النَّفِيرِ يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي(٢٥٦٠).

بَابٌ فِي النِّدَاءِ: أَيْ نِدَاءِ الْإِمَامِ(عِنْدَ النَّفِيرِ): نَفَرَ إِلَى الشَّيْءِ أَسْرَعَ إِلَيْهِ، وَيُقَال لِلْقَوْمِ النافِرِينَ لِحَرْبٍ أَوْ غَيْرِهَا نَفِيرٌ تَسْمِيَةٌ بِالْمَصْدَرِ(يَا خَيْلَ اللهِ ارْكَبِي): قَالَ فِي النِّهَايَةِ: هَذَا عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ أَرَادَ يَا فُرْسَانَ خَيْلِ اللَّهِ ارْكَبِي وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ الْمَجَازَاتِ وَأَلْطَفِهَا.

وَقَالَ السُّيُوطِيُّ: يُشِيرُ إِلَى مَا أَخْرَجَهُ الْعَسْكَرِيُّ فِي الْأَمْثَالِ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ حَارِثَةَ بْنَ النعْمَانِ قَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ لِي بِالشَّهَادَةِ فَدَعَا لَهُ فَنُودِيَ يَوْمًا يَا خَيْلَ اللَّهِ ارْكَبِي فَكَانَ أَوَّلَ فَارِسٍ رَكِبَ وَأَوَّلَ فَارِسٍ اسْتُشْهِدَ(عون المعبود) .

فيجتمع المسلمون فورا عند رسول الله ﷺ أو عند خليفته من بعده، ويتركون كل أشغالهم وحوائجهم فيوجههم النبي (ﷺ) أو خليفته من بعده، في سبيل الله لإعلاء كلمة الله .

ويقول الشيخ محمد عمر البالمبوري (رحمه الله): فكل من وجد في قلبه محبة لله ولرسوله عليه أن يفهم أنه مكلف بحمل أمانة الدعوة إلى الله جل وعلا.

وللدعوة جناحان، دعاء في الليل، ودعوة في النهار، فإذا كانت الليالي على ترتيب ليالي النبي (ﷺ) والنهارُ كنهار النبي (ﷺ) ، فهكذا تنزل نصرة الله، ولكن إذا كانت الغفلة في ليالي المسلمين فهنا ترفع نصرة الله، ولكن نضحي حتى نحب لقاء الله.

يقول أحد مشايخنا (جزاهم الله خيرا): علينا أن نجتهد على جميع المسلمين، حتى يدخل في قلب كل مسلم الشعور بالتقصير في هذا الجهد، ويعلم أن الله ابتعثه لهذا الجهد المبارك، وأن يشعر بالندم والتقصير والذنب، فيعود ويستغفر الله عز وجل.. فلما جميع الأمة تشعر بهذا الشعور، الله يغير حياتهم ويُصلح أحوالهم.

جهد الرسول ﷺ !

هو الجهد الذي قام عليه كل الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، من قبله ﷺ وهو جهد إقامة الدين(أنَ أقِيمُوا الدِّينَ)، قال الله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطرَتَ اللهِ التِي فطرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيل لِخَلقِ اللهِ ذلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وهو الجهد الذي شرعه الله عز وجل لهذه الأمة كما شرعه للأنبياء والمرسلين، قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لكمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أنَ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفرَّقوا فِيهِ كبُرَ عَلى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾ (٢).

الله سبحانه وتعالى جعل جهد الرسل هو السبب الوحيد لتكميل ونشر الدين في حياة الناس إلى أن يشاء الله.

فالله بعث الرسل للأمم السابقة بجهد الدين فأقاموا أقوامهم على الدين الكامل ولم يؤمروا بإقامتهم على جهد الدين، فإذا مات الرسول منهم ظلت أمته من بعده عن الدين.

فإذا نقص الدين في حياتهم وظهرت المعاصي بعث الله نبياً آخر ليدعوهم إلى الله ويقيمهم على الدين.

---

(١) سورة الروم – الآية ٣٠.

(٢) سورة الشورى – الآية 13.

ولكن بسبب ختم النبوة والرسالة بخاتم الأنبياء والمرسلين وسيدهم محمد (ﷺ)، قال الله تعالى: { مَا كان مُحَمَدٌ أبَا أحَدٍ مِنْ رِجَالِكمْ وَلكِنْ رَسُول اللهِ وَخَاتَمَ النَبِيينَ وَكان اللهُ بِكلِ شَيْءٍ عَلِيمًا } (١).

فالله سبحانه وتعالى بعثه بجهد الدين فأقام أمته على الدين وعلى جهد الدين، قال الله تعالى: { قل هَذِهِ سَبِيلِي أدْعُو إلى اللهِ عَلى بَصِيرَةٍ أنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَان اللهِ وَمَا أنَا مِنَ المُشْرِكِينَ } (٢).

فهذه الأمة مكلفة ومشرفة، قال الله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأمُرُون بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْن عَنِ المُنْكرِ وَتُؤْمِنُون بِاللهِ وَلوْ آمَنَ أهْل الكِتَاب لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٣)، مكلفة بجهد الدين ومشرفة بالخيرية إذا قامت بما كلفت به.

فالله ﷻ أقسم في سورة العصر بالزمان:﴿ وَالعَصْرِ* إنَ الإنسَان لفِي خُسْرٍ* إلا الذِينَ آمَنُوا وَعَمِلوا الصَالِحَاتِ* وَتَوَاصَوْا بِالحَقِ وَتَوَاصَوْا بِالصَبْرِ ﴾ (٤)،{ إلا الّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} هذا هو الدين، { وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} هذا هو جهد الدين.

فالفرد من هذه الأمة لن ينجو من الخسارة إلا أن يكون عنده الدين (الإيمان والعبادات والمعاملات والأخلاق) وجهد الدين (الدعوة إلى الله) قال الله

(١) سورة الأحزاب _ الآية ٤٠.
(٢) سورة يوسف _ الآية ١٠٨
(٣) سورة آل عمران – الآية ١١٠.
(٤) سورة العصر – الآيات من ١ : ٤.

تعالى:﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ. ﴾ (١)، وعَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْها أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) دَخَلَ عَلَيْهَا فَزِعاً يَقُولُ: " لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدْ اقْتَرَبَ، فُتِحَ الْيَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هَذِه، وَحَلَّقَ بِإِصْبَعِه الْإِبْهَامِ وَالَّتِي تَلِيهَا، قَالَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَنَهْلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الْخَبَثُ "متفق عليه.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ (ﷺ): " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِه لَا يَضَعُ اللهُ رَحْمَتَهُ إِلَّا عَلَى رَحِيمٍ ". قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، كُلُّنَا يَرْحَمُ. قَالَ: " لَيْسَ بِرَحْمَةِ أَحَدِكُمْ صَاحِبَهُ ، يَرْحَمُ النَّاسَ كَافَّةً ". رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى.

والله سبحانه وتعالى بعث الأنبياء والرسل (عليهم السلام) منهم من بُعث لقوم مخصوصين.. لأهل تجارة.. لأهل زراعة، وهكذا إلى أن ختمهم الله بمحمد (ﷺ) فهو مبعوث لجميع العالم، وهو مبعوث إلى يوم القيامة.. قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾(٢).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَ رَحْمَةً لِلعَالَمِينَ ﴾(٣).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤).

---

(١) سورة هود – الآية ١١٧.

(٢) سورة الأعراف – الآية ١٥٨.

(٣) سورة الأنبياء – الآية ١٠٧.

(٤) سورة سبأ – الآية ٢٨.

وعن جَابِرُ بْنُ عَبْدِ اللهَّ أَنَّ النَّبِيَّ (ﷺ) قَالَ:" أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلَاةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الْمَغَانِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً "(١).

والله حصر جهد الدعوة في الأنبياء والمرسلين قبل بعثة سيدنا محمد (ﷺ) ، وبموت نبي من الأنبياء كانت تموت الدعوة .

وكان النبي (ﷺ) يأتي للقوم يقول لهم: الله لم يجعل فوزكم وفلاحكم في هذه الأشياء التي بين أيديكم، إنما فوزكم وفلاحكم بيد الله عز وجل.. امتثلوا أمر الله على طريق النبي، فالله يعطيكم الفوز والفلاح والسعادة والراحة.. كل نبي عرّف قومه بالله.

الله هو الذي يتصرف في هذه المخلوقات بقدرته.. لا خالق إلا الله.. فعظموا الله، وتيقنوا على الله في شؤون حياتكم.

نحن وإخواننا وأزواجنا وأولادنا وأهلونا وأولاد أولادنا وأولاد بناتنا، من أمة النبي محمد (ﷺ) فالله كلفنا بمسئولية النبي (ﷺ)..وكل واحد منا محتاج لجهد النبي (ﷺ) ..والله شرفنا بجهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

الله (ﷺ) ما بعثنا للملك ولا للمال ولا لنتحصل على أسباب التعيش في الدنيا قبل الموت، وإنما خلقنا وبعثنا لجهد النبي (ﷺ) :﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُون بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْن عَنِ المُنْكرِ وَتُؤْمِنُون بِاللهِ وَلوْ آمَنَ أَهْل الكِتَابِ لكان

(١) صحيح البخاري – كتاب التيمم _ رقم الحديث: (٣٢٨).

خَيْرا لهُـــمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُون وَأكثرُهُمُ الفاسِقون﴾ (١)، وذلك لتأتوا بأقوام العالم كله إلى الجنة.. هذه الأمة ليست لقوم خاص ولا لمنطقة خاصة ولا لزمن خاص، بل للعالم كله إلى يوم القيامة.

نضرب الأمثلة لتوضيح [جهد الرسـﷺـول]:

المثال الأول: يقول الشيخ مقبول أحمد: نُصلي كل يوم خمس صلوات، والصلاة عبارة عن قيام وركوع وسجود، فلو ركعنا فقط لاتُسمى صلاة ولا تقبل، والسجود وحده لا يشسمى صلاة، والقيام وحده لا يُسمى صلاة، بل تُسمى صلاة حينما نقوم بجميع أعمال الصلاة مستوفية جميع الأركان من التكبير للتسليم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكذلك إذا خالفنا ترتيب الصلاة الذي علمه لنا رسول الله ﷺ ، فبدأنا مثلا بالتسليم وانتهينا بالتكبير.. لا تُسمى صلاة.. فلذلك لا بد من الصلاة من التكبير للتسليم على ترتيب النبي (ﷺ) تُسمى صلاة.

هكذا جهد النبي (ﷺ) ليس اسم لعمل واحد فقط بل جميع الأعمال هي جهد النبي وعلى ترتيبه.

المثال الثاني: يقول الشيخ عبد الوهاب(أمير الدعوة بباكستان) موضحا: رجل فلاح يعمل بزراعة الأرض، اجتهد على الأرض ليزرعها.. فشراءه للبذر من جهد الزراعة.. وحراثته للأرض من جهد الزراعة.. وسقايته للأرض من جهد الزراعة.. وتنظيفه للأرض من الحشائش الضارة من جهد الزراعة.. وإلقاءه السماد

(١) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

بالأرض من جهد الزراعة.. فمجموعة هذه الأعمال تسمى جهد الزراعة.

.فكذلك:

- التعليم جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- وقراءة القرآن: جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- والذكر جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- والخدمة جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- والدعوة جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- وصلة الأرحام جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- وبر الوالدين جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.
- والإحسان إلى الجيران جزء من جهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيه وَسَلَّمَ.

فمجموعة الأعمال كلها: تسمى جهد الدين.أ.هـ

♠ نقوم بالجهد بثلاثة أمور:

١) **الأمر الأول: بنية الرسول(ﷺ)**: ففي الصلاة لا بد أن تكون نية المأموم مثل نية الإمام، فنحنُ إمامنا محمد (ﷺ) فنيتنا في الجهد تكون مثل نية النبي وهي هداية العالم وأن يوموا على جهد النبي صلى الله عليه وسلم.

٢) **الأمر الثاني: مقصد الرسول(ﷺ)**: دعوة جميع الخلق إلى الحق على بصيرة {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللـــهِ

وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١) .

٣) **الأمر الثالث: فكر وهمَّ الرسول (ﷺ)**: قال تعالى: { لَعَلكَ بَاخِعٌ نَفسَكَ ألا يَكونُوا مُؤْمِنِينَ} (٢) ، وقال تعالى: {فَلَعَلكَ بَاخِعٌ نَفسَكَ عَلىٰ آثارِهِمْ إِن لَمْ يُؤْمِنُوا بِهٰذا الحَدِيثِ أسَفًا } (٣) .

وعَنِ الْحُسَنِ بْنِ عَلِيٍّ ، قَالَ: سَأَلْتُ خَالِي هِنْدُ بْنُ أَبِي هَالَةَ ، وَكَانَ وَصَّافًا ، فَقُلْتُ: صِفْ لِي مَنْطِقَ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) ، قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ) مُتَوَاصِلَ الأَحْزَانِ ، دَائِمَ الْفِكْرَةِ ، لَيْسَتْ لَهُ رَاحَةٌ ، طَوِيلُ السَّكْتِ، لا يَتَكَلَّمُ فِي غَيْرِ حَاجَةٍ ، يَفْتَتِحُ الْكَلامَ، وَيَخْتِمُهُ بِاسْمِ اللهِّ تَعَالَى ، وَيَتَكَلَّمُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ، كَلامُهُ فَصْلٌ، لا فُضُولَ ، وَلا تَقْصِيرَ ، لَيْسَ بِالْجَافِي ، وَلا الْمُهِينِ، يُعَظِّمُ النِّعْمَةَ وَإِنْ دَقَّتْ لا يَذُمُّ مِنْهَا شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَذُمُّ ذَوَّاقًا وَلا يَمْدَحُهُ، وَلا تُغْضِبُهُ الدُّنْيَا، وَلا مَا كَانَ لَهَا، فَإِذَا تُعُدِّيَ الْحَقُّ ، لَمْ يَقُمْ لِغَضَبِهِ شَيْءٌ، حَتَّى يَنْتَصِرَ لَهُ، وَلا يَغْضَبُ لِنَفْسِهِ، وَلا يَنْتَصِرُ لَهَا، إِذَا أَشَارَ بِكَفِّهِ كُلِّهَا، وَإِذَا تَعَجَّبَ قَلَبَهَا ، وَإِذَا تَحَدَّثَ اتَّصَلَ بِهَا، وَضَرَبَ بِرَاحَتِهِ الْيُمْنَى بَطْنَ إِبْهَامِهِ الْيُسْرَى، وَإِذَا غَضِبَ أَعْرَضَ وَأَشَاحَ، وَإِذَا فَرِحَ غَضَّ طَرْفَهُ ، جُلُّ ضَحِكِهِ التَّبَسُّمُ ، يَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ " (٤).

٤)**الأمر الرابع: عاطفة الرسول (ﷺ)**: وهي تضحية النفس والمال من أجل إحياء المقصد: قال ابْنُ إِسْحَاق: عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ القُرَظِيِّ، قال : حُدِّثْتُ أن عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ ، وَكان سَيِّدًا، قال يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ، وَرَسُول

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨

(٢) سورة الشعراء _ الآية ٣.

(٣) سورة الكهف _ الآية ٦.

(٤) الشمائل المحمدية للترمذي.

اللهِ (ﷺ) جَالِسٌ فِي المَسْجِدِ وَحْدَهُ : يَا مَعْشَرَ قرَيْشٍ، ألا أقومُ إلى مُحَمَّدٍ فَأُكَلمَهُ وَأعْرِضَ عَلَيْهِ أُمُورًا لَعَلَّهُ يَقْبَلُ بَعْضَهَا فَنُعْطِيهِ أَيَّهَا شَاءَ، وَيَكُفُّ عَنَّا ؟ وَذَلِكَ حِينَ أَسْلَمَ حَمْزَةُ، وَرَأَوْا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) يَزِيدُونَ وَيَكْثُرُونَ؛ فَقَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ، قُمْ إِلَيْهِ فَكَلِّمْهُ. فَقَامَ إِلَيْهِ عُتْبَة حَتَّى جَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ)، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ مِنْ السِّطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَّقْتَ بِهِ جَمَاعَتَهُمْ وَسَفَّهْتَ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعِبْتَ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرْتَ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرِضْ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ: فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ): قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ؛ قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتَ إِنَّمَا تُرِيدُ بِمَا جِئْتَ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَالًا جَمَعْنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَّدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رِئْيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَنْ نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطِّبَّ، وَبَذَلْنَا فِيهِ أَمْوَالَنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعُ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُدَاوَى مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ. حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُتْبَةُ ، وَرَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ: أَقَدْ فَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ: نَعَمْ ، قَالَ: فَاسْمَعْ مِنِّي؛ قَالَ: أَفْعَلُ؛ فَقَالَ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) فِيهَا يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ. فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُتْبَةُ ، أَنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) إِلَى السَّجْدَةِ مِنْهَا، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ: قَدْ سَمِعْتَ يَا أَبَا

الوَلِيدِ مَا سَمِعْتَ، فأنْتَ وَذاكَ(١) .

٥) **الأمر الخامس: طريقة الرسول (ﷺ)**: ما جلس الرسول (ﷺ) في مكانه حتى يأتي الناس إليه، ولكن ذهب إلى كل مكان، تجول في الشوارع، وفي الأسواق، وفي المواسم، وفي الأندية، يعرض نفسه على الناس يدعوهم إلى الله ويطلب منهم النصرة، وطلب النصرة هو إقامتهم على الدعوة.

يقول الشيخ عبد الوهاب(حفظه الله): الذي ظن أنه ملك أو وزير أو مهندس أو طبيب أو مزارع أو تاجر أو مدرس أو صاحب المصنع(فقط) ويظن أن مكانته في هذا الشيء فقط فهذا الفهم غير صحيح، لأن مكانته أنه نائب عن الرسول (ﷺ) ومسئول عن جهد الرسول (ﷺ).. جهد هداية الناس أجمعين .أ.هـ (٢).

ما من فرد على مستوى العالم يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إلا وهو نائب ووراث للنبي ﷺ :﴿ وَإِنَّهُ لذِكرٌ لكَ وَلِقوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْألون ﴾ (٣).

وجود هذه الأمة لنيابة نبيها(حزنا، هما، فكرا، معاشرة، هداية، علما عملا، خوفا من الله ...).

وإن من الجريمة أن يترك المسلمون الناس يغرقون في مستنقع الكفر والشهوات، ولا ينقذونهم من هذا الرجس والدنس !! وإن كنت سباحا ماهرا تتقن السباحة، ورأيت إنسانا يغرق في النهر وهو يستغيث بمن ينقذه، وتركته دون إنقاذ، ألا تكون قد ارتكبت جناية يؤاخذك عليها الدين ؟.

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام» قول عتبة بن ربيعة في أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢) كتاب فرضية الدعوة إلى الله _ للمؤلف.

(٣) سورة الزخرف– الآية٤٤.

هكذا شأن المسلمين مع الأمم، ابتعثهم الله تعالى واختارهم لإنقاذ البشرية، فإذا تركوا واجبهم في الدعوة إلى الله، فقد خانوا الأمانة، وتركوا وسام العز والفخار الذي امتازوا به على سائر الأمم، إنهم حملة رسالة إنسانية سامية، هي هداية الناس، وإخراجهم من ظلمات الكفر والشقاء، كما وضح تعالى ذلك بقوله: (كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظلمَاتِ إِلى النُّورِ بِإِذنِ رَبِّهِمْ إِلى صِرَاطِ العَزِيزِ الحَمِيدِ) (١)(٢).

۞ **يقول الشيخ محمد الملا (حفظه الله):** الله سبحانه وتعالى أقام هذه الأمة في نيابة النبي ﷺ كل نبي من الأنبياء كان يقيم أمته على شيء واحد فقط .. العبادة .. (يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ).. ولكن النبي (ﷺ) أقام هذه الأمة على نيابته، ثلاثة وعشرون سنة القرآن ينزل من أول يوم من حياة النبي (ﷺ) إلى أخر يوم من حياة النبي.

الله أرسل للبشرية مائة وأربعة وعشرون ألف نبي ورسول، ولكن ليس كل نبي معه كتاب، أكثر الأنبياء ليس معهم كتب، عدد الكتب مائة وأربعة فقط، وجميع الأنبياء الكتب نزلت متأخرة، نوح (عليه السلام) ألف إلا خمسين عام ليس عنده كتاب، موسي(عليه السلام) أربعين سنة دعوته مع فرعون بغير كتاب، متي نزلت التوراة ؟ بعد أربعين سنة.

---

(١) سورة إبراهيم- الآية ١.

(٢) أوليس في سبيل الله إلا من قتل للشيخ المفتي / رفيق أمجد القا سمي أستاذ الحديث والفقه بالجامعة الإسلامية لمباسا فيجي.

ولكن محمد رسول الله في أول يوم نزل معه الكتاب، إلى آخر يوم من حياة النبي ثلاثة وعشرون سنة القرآن ينزل وما هي علة إنزاله ؟ لإقامة هذه الأمة على نيابة النبي، ثلاثة وعشرون سنة، أفضل معلم في البشرية محمد رسول الله، وأفضل متعلمين في البشرية الصحابة رضي الله عنهم، ثلاث وعشرين س تعليم هذا الجهد المبارك، كل حياة النبي في ثلاث وعشرين سنة الأمة تتعلم نيابته أي جهده.

♠ الأمة المسلمة:

في مجلس واحد تعلمت الصلاة: « صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)) (١)

وفي مجلس واحد تعلمت الصيام: " صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ (٢)".

وتعلمت الحج في خمسة أيام " لِتَأْخُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ "(٣)(٤) (٥).

هل ننوب عن نبينا أم ننوب عن أعداءه المغضوب عليهم والضالين؟.

كل واحد يحاسب نفسه بنفسه، ما يستطيع أحد أن يفتي في حق أحد، لأن كل واحد علاقته ومعاملته رأسا مع ربه وهو عليم بذات الصدور.

نحن نستغفر الله ﷻ من الذنوب والمعاصي، ونسينا أن نستغفر الله ﷻ من ترك

---

(١) صحيح البخاري- رقم الحديث: ٥٥٧٨.

(٢) صحيح البخاري- رقم الحديث: ١٧٨٥، صحيح مسلم _ رقم الحديث: ١٩١٧، سنن الترمذي _ رقم الحديث: ٦١٩، سنن النسائي الصغرى _ رقم الحديث: ٢٠٩٨ ، ٢٠٩٩، سنن الدارمي _ رقم الحديث: ١٦٤١، مسند الإمام أحمد _ رقم الحديث: ٩٦٤٠، ٩٦٧٠ ، ٩٨٥١ ، صحيح ابن حبان_ رقم الحديث: ٣٥٢٤، ٣٥٣٩، ٣٥٤١، وغيرهم .

(٣) وفي بعض الروايات: لِتأخذوا عَنِّي، وفي بعضها:" خذوا عَني مَناسِككمْ " [رواه البيهقي في " السنن الكبرى " (١٢٥/٥).

(٤) صحيح مسلم - الحج (١٢٩٧)، سنن أبي داود - المناسك (١٩٧٠)، سنن أبي داود - المناسك (١٩٧١)، مسند أحمد - باقي مسند المكثرين (٣٣٧/٣).

(٥) البيان الواضح في بيان منهج النبوة من كلام الشيخ محمد الملا - إعداد المؤلف.

جهد الدعوة إلى الله ﷻ، الذي يسبب تركه جاءت الذنوب والمعاصي في أمة النبي صلى الله عليه وسلم .

أم المعاصي بل المعصية الكبرى ترك جهد الدعوة إلى الله ﷻ.. الذي بسبب تركه ظهرت الكبائر والفواحش في الأمة.

من ترك جهد الزراعة يحرم ثمرة الزراعة (الحبوب.. والفاكهة.. الخ) ومن ترك جهد الصناعة يحرم المصنوعات.. ومن ترك جهد التجارة يحرم المال وربح التجارة.. ومن ترك جهد الدين يحرم من الهداية.

الله رؤوف بعباده أعطانا عن طريق نبينا (ﷺ) الاستغفار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ (١).

فعلى الأمة جميعها أن تستغفر ربها، لأن عدم قيامها بواجبها، وعدم شعورها بمسئوليتها ذنب اجتماعي على مستوى الأمة.

فقد تكاسلت وتأخرت في أداء مسئوليتها، وفي شعورها نحو أداء واجبها الذي أوجبه الله عليه.

لو نشعر بمسئولية الأمة كلها فنتوجه إلى الله، ونقول: إن هؤلاء عبادك، لو ماتوا على ذلك هم يدخلون النار، مثل الأم التي رأت ابنها يسقط في التنور فتبكى وتصرخ وتقول ولدى فالناس يذهبون إليها ويخرجون ابنها من النار، فالأم كم تفرح ؟.

يجب إشعار المسلم أنه مسلم وأن الإسلام غالى وعظيم جداً.

للأسف نسينا أو تناسينا أننا مسئولون عن هداية الناس حتى الأب نسى ما

---

(١) سورة الأنفال- الآية ٣٣.

سيواجه ابنه بعد الموت والأخت تناست ما سيواجه أخاها بعد الموت.

الإنسان عندما يعرف أنه طبيب أو مهندس أو صاحب مصنع أو صاحب المنصب، أو زوج، فالله ﷻ يلهمه كيف يؤدى واجبه، والتوفيق يأتي من الله ﷻ على قدر عزم العبد: (على قدر أهل العزم تأتى العزائم).

فإذا عرفنا أننا مبعوثون إلى العالم كله، فالله ﷻ يوفقنا للقيام بمسئوليتنا تجاه العالم كله.

نحن ننظر إلى العالم بنظرة احتقار وازدراء وهذا خطأ منا يجب أن ننظر إليهم بعين المحبة والرحمة والشفقة على العالم ولكن للأسف نسينا مقصدنا.

نحن مسئولون عن العالم كله، وعن كل فرد يولد في العالم إلى يوم القيامة، بدون أن نعرف أننا أمة مبعوثة، لن نقوم بمسئوليتنا، الرسول(ﷺ)بعث بعثة مزدوجة، عمل النبوة، وجهد النبوة قائم إلى يوم القيامة الله ﷻ ختم النبوة بالنبي (ﷺ)، ولكنه ما ختم عمل النبوة وجهد النبوة.

الآن أصبح فكرنا ضعيف، واهتماماتنا ضعيفة جداً، حتى الأم أصبحت تهتم بملابس ابنها وبطعامه وشرابه، ولكن نسيت أن تهتم بمستقبل ابنها بعد الموت.

نحن نظن أننا مظلومون في العالم، ولكن قبل أن نظن أننا مظلومون، نحن ظالمين ! لماذا ؟ لأننا لم نقم بمسئوليتنا تجاه العالم .

والظُّلْمَ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَصْلُهُ وَضْعُ الشَّيْءِ فِي غَيْرِ مَوْضِعه (١)، وعدم قيام الشيء على مقصده، قال تعالى ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ

(١)أضواء البيان » سورة الجاثية » قولُهُ - تعَالى - : وَإِنَّ الظالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ .

فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إبراهيم هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَـذَا لِيَكُـونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَـلَى النَّـاسِ فَـأَقِيمُوا الصَّـلاةَ وَآتُـوا الزَّكَـاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَـنِعْمَ الْمَـوْلَى وَنِعْـمَ النَّصِـيرُ﴾ (١). وهـو أعظـم شرف منحناه باعتبارنا من أمة محمد ﷺ.

أصبحت عواطفنا غير قرآنية، أصبحنا نطمع في الملـك والمـال.. علينـا أن نقـول لأهل الملك: ملككم لكم، ولأهل المال: مالكم لكم.. نحن نريـد: أن نخـرج العـالم من الحياة البئيسة التعيسة إلى الحياة السعيدة الشريفة الكريمة .

أصبحت شهواتنا ورغباتنا كأهل الدنيا.

وأصبحنا نتكلم مثل أهل الدنيا. .وأصبحت وظيفتنا كأهل الدنيا.

وعندما تعرف الأمة مقصـدها وغايتهـا الله يربيهـا تربيـة خاصـة فيقـوى إيمانهـا ويقوى يقينها كما يربى الداعي، ولكن متى يحدث هذا ؟؟؟.

يحدث عندما تضحى الأمة بشهواتها ورغباتها وتقوم بجهد الـدعوة إلى الله ﷻ ، وتتحمل في سبيله التضحيات.

فلولا هذا الجهد ما دخل الجوع في بيت النبي (ﷺ) ومـا ابـتلى أصـحابه رضي الله عنهم بنقص في الأموال والأنفس والثمرات، فهل نحن، أزكى منهم ؟؟؟ كـلا والله !!! هم فهموا فهماً صحيحاً.

كيف نحن في هـذا الـزمن نكتفـي بالقيـام بـبعض أعـمال العبـادات ونظـن أننـا مسلمون ملتزمون.. كل هذا بسبب الفهم الخاطئ لخصائص الأمة أننا أمـة مبعوثـة وعلينا أن نستغفر الله سبحانه وتعالى على ما بدر منا من تقصير في حق هذه الأمة .

---

(١) سورة الحج – الآية ٧٨ .

لو رجعت الأمة إلى مقصدها ووظيفتها: الله يعيد إليها الأيام والليالي التي شهدها الصحابة رضي الله عنهم من النصرة الغيبية على الأعداء، وظهور البركات، ودخول الناس في دين الله ﷻ أفواجا .

نحن نريد الإصلاح ولا نعرف معنى الإصلاح .. نقول نحن في القرن العشرين ماذا نفعل ؟ .

عندما يكون الجهد علي طريقة الرسول (ﷺ) بنية الهداية.. لا بنية الملك، والمال والمنصب والحكومة ولا بنية التعيش في الحياة الدنيا فالله ﷻ يحيي الدين.

۞ **الله (ﷻ) علمنا كيف يكون الجهد:** ففي عهد أبى بكر الصديق (رضي الله عنه) منع الناس الزكاة وارتد بعض قبائل العرب، وأراد ملك الروم أن يغزو المسلمين، ومسيلمة الكذاب وادعاؤه النبوة، كل هذه الأحوال.

۞ والله (ﷻ) يعلمنا لما يكون الجهد على طريق الرسول ﷺ فالله (ﷻ) يحيى الدين .. فعَنْ عَاصِمِ بْنِ عَدِيٍّ قَالَ: نَادَى مُنَادِي أَبِي بَكْرٍ مِنَ الْغَدِ مِنْ مُتَوَفَّى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ): لِيَتِمَّ بَعْثُ أُسَامَةَ، أَلَا لَا يَبْقَيَنَّ بِالْمَدِينَةِ أَحَدٌ مِنْ جُنْدِ أُسَامَةَ إِلَّا خَرَجَ إِلَى عَسْكَرِهِ بِالْجُرْفِ .

الَّذِينَ كَانُوا قَدْ أَمَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْمَسِيرِ إِلَى نُحُومِ الْبَلْقَاءِ مِنَ الشَّامِ، حَيْثُ قُتِلَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ وَجَعْفَرٌ وَابْنُ رَوَاحَةَ فَيُغِيرُوا عَلَى تِلْكَ الْأَرَاضِي، فَخَرَجُوا إِلَى الْجُرْفِ فَخَيَّمُوا بِهِ، وَكَانَ فِيهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ - وَيُقَالُ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ. فَاسْتَثْنَاهُ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) مِنْهُمْ؛ لِلصَّلَاةِ - فَلَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ (ﷺ) أَقَامُوا هُنَالِكَ، فَلَمَّا مَاتَ عَظُمَ الْخُطَبُ وَاشْتَدَّ الْحَالُ وَنَجَمَ النِّفَاقُ بِالْمَدِينَةِ، وَارْتَدَّ مَنِ ارْتَدَّ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ حَوْلَ

الْمدينَة، وَامْتَنَعَ آخَرُونَ منْ أَدَاء الزَّكَاة إِلَى الصِّدِّيق، وَلَمْ تَبْقَ الْجُمُعَةُ تُقَامُ فِي بَلَد سوَى مَكَّةَ وَالْمَدينَة، وَكَانَتْ جُوَاثَا منَ الْبَحْرَيْن أَوَّلَ قَرْيَة أَقَامَت الْجُمُعَةَ بَعْدَ رُجُوعِ النَّاسِ إِلَى الْحَقِّ، كمَا فِي " صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ " عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ كمَا سيَأْتِي، وَقَدْ كانت ثقِيف بِالطائفِ ثبتوا علَى الإِسْلَامِ، لمْ يفِرُّوا ولَا ارْتدُّوا.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَتْ هَذه الْأُمُورُ أَشَارَ كَثيرٌ منَ النَّاسِ عَلَى الصِّدِّيق أَنْ لَا يُنْفذَ جَيْشَ أُسَامَةَ لاحْتيَاجه إِلَيْه فيمَا هُوَ أَهَمُّ الْآنَ ممَّا جُهِّزَ بسَبَبه فِي حَال السَّلَامَة، وَكَانَ منْ جُمْلَة مَنْ أَشَارَ بذَلكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّاب، فَامْتَنَعَ الصِّدِّيقُ منْ ذَلكَ، وَأَبَى أَشَدَّ الْإِبَاء إِلَّا أَنْ يُنْفذَ جَيْشَ أُسَامَةَ ، وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَحُلُّ عُقْدَةً عَقَدَهَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَلَوْ أَنَّ الطَّيْرَ تَخَطَّفُنَا ، وَالسِّبَاعَ منْ حَوْل الْمدينَة ، وَلَوْ أَنَّ الْكلَابَ جَرَّتْ بأَرْجُل أُمَّهَات الْمُؤْمنينَ، لَأُجَهِّزَنَّ جَيْشَ أُسَامَةَ. فَجَهَّزَهُ وَأَمَرَ الْحَرَسَ يَكُونُونَ حَوْلَ الْمدينَة، فَكَانَ خُرُوجُهُ فِي ذَلكَ الْوَقْت منْ أَكْبَر الْمَصَالح، وَالْحَالَةُ تلْكَ، فَسَارُوا لَا يَمُرُّونَ بحَيٍّ منْ أَحْيَاء الْعَرَب إِلَّا أُرْعبُوا منْهُمْ، وَقَالُوا: مَا خَرَجَ هَؤُلَاء منْ قَوْمٍ إِلَّا وَبهمْ مَنَعَةٌ شَديدَةٌ. فَغَابُوا أَرْبَعينَ يَوْمًا، وَيُقَالُ: سَبْعينَ يَوْمًا. ثُمَّ أَوْبُوا سَالمينَ غَانمينَ، ثُمَّ رَجَعُوا فَجَهَّزَهُمْ حينَئذٍ مَعَ الْأَحْيَاء الَّذينَ أَخْرَجَهُمْ لقتَال الْمُرْتَدَّة، وَمَانعي الزَّكَاة، عَلَى مَا سيَأْتي تَفْصيلُهُ .

وعَنْ هشَام بْن عُرْوَةَ، عَنْ أَبيه قَالَ: لَمَّا بُويعَ أَبُو بَكْر(رضي الله عنه)، وَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي الْأَمْر الَّذي افْتَرَقُوا فيه قَالَ: ليَتمَّ بَعْثُ أُسَامَةَ. وَقَد ارْتَدَت الْعَرَبُ إِمَّا عَامَّةً وَإِمَّا خَاصَّةً فِي كُلِّ قَبيلَة، وَنَجَمَ النِّفَاقُ وَاشْرَأَبَّت الْيَهُودِيَّةُ وَالنَّصْرَانيَّةُ، وَالْمُسْلمُونَ كَالْغَنَم الْمَطيرَة فِي اللَّيْلَة الشَّاتيَة ؛ لفَقْد نَبيِّهمْ (ﷺ)، وَقلَّتهمْ ، وَكَثْرَة عَدُوِّهمْ، فَقَالَ لَهُ النَّاسُ: إِنَّ هَؤُلَاء جُلُّ الْمُسْلمينَ، وَالْعَرَبُ عَلَى مَا تَرَى قَد انْتَقَضَتْ بكَ، وَلَيْسَ يَنْبَغي لَكَ أَنْ

تُفَرِّقَ عَنْكَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ. فَقَال: وَالَّذي نَفْسُ أَبِي بَكْرٍ بِيَدِه، لَـوْ ظَنَنْـتُ أَنَّ السِّـبَاعَ تَخْطَفُنِي لَأَنْفَذْتُ بَعْثَ أُسَامَةَ كَمَا أَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ)، وَلَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْقُرَى غَـيْرِي لَأَنْفَذْتُهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ، وَمِنْ حَدِيثِ الْقَاسِمِ وَعَمْرَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا قُبِضَ رَسُـولُ اللهِّ (ﷺ) ارْتَدَتِ الْعَرَبُ قَاطِبَةً وَاشْرَأَبَّ النِّفَاقُ، وَاللهِّ لَقَدْ نَزَلَ بِأَبِي مَـا لَـوْ نَـزَلَ بِالْجِبَـالِ الرَّاسِيَاتِ(١) لَهَاضَهَا، وَصَارَ أَصْـحَابُ مُحَمَّـدٍ (ﷺ) كَـأَنَّهُمْ مِعْـزًى (٢) مَطِـيرَةٌ فِي حِفْشٍ(٣) فِي لَيْلَةٍ مَطِيرَةٍ بِأَرْضٍ مُسْبِعَةٍ (٤)، فَوَ اللهِّ مَا اخْتَلَفُوا فِي نُقْطَـةٍ إِلَّا طَـارَ أَبِي بِحَظِّهَا وَعَنَائِهَا وَفَضْلِهَا.

وَقَالَ الْحَافِظُ أَبُو بَكْرٍ الْبَيْهَقِيُّ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: وَاللهِّ الَّذي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَـوْلَا أَنَّ أَبَا بَكْرٍ اسْتُخْلِفَ مَا عُبِدَ اللهُّ، ثُمَّ قَالَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثَةَ، فَقِيلَ لَهُ: مَهْ يَا أَبَا هُرَيْـرَةَ. فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللهِّ (ﷺ) وَجَّهَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ فِي سَبْعِمِائَةٍ إِلَى الشَّـامِ، فَلَـمَّا نَـزَلَ بِـذِي خَشَبٍ قُبِضَ رَسُولُ اللهِّ (ﷺ)، وَارْتَدَّتِ الْعَرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ، فَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَصْحَابُ رَسُولِ اللهِّ فَقَالُوا: يَا أَبَا بَكْرٍ، رُدَّ هَؤُلَاءِ، تُوَجِّهُ هَؤُلَاءِ إِلَى الرُّومِ وَقَدِ ارْتَـدَّتِ الْعَـرَبُ حَوْلَ الْمَدِينَةِ ؟ ! فَقَالَ: وَالَّذي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ لَوْ جَرَّتِ الْكِلَابُ بِأَرْجُلِ أَزْوَاجِ رَسُولِ اللهِّ (ﷺ) مَا رَدَدْتُ جَيْشًا وَجَّهَهُ رَسُـولُ اللهِّ (ﷺ)، وَلَا حَلَلْـتُ لِـوَاءً عَقَـدَهُ رَسُـولُ اللهِّ (ﷺ). فَوَجَّهَ أُسَامَةَ فَجَعَلَ لَا يَمُرُّ بِقَبِيلٍ يُرِيدُونَ الارْتِدَادَ إِلَّا قَـالُوا: لَـوْلَا أَنَّ لِهَـؤُلَاءِ قُوَّةً مَا خَرَجَ مِثْلُ هَؤُلَاءِ مِنْ عِنْدِهِمْ، وَلَكِنْ نَدَعُهُمْ حَتَّى يَلْقَوُا الـرُّومَ. فَلَقُـوا الـرُّومَ

(١) الثوابت الرواسخ .
(٢) الغنم.
(٣) بستان ومجمع نخل.
(٤) كثيرة السباع.

فَهَزَمُوهُمْ وَقَتَلُوهُمْ، وَرَجَعُوا سَالِمِينَ ، فَثَبَتُوا عَلَى الْإِسْلَامِ.

وعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ ، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا صَمَّمَ عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشِ أُسَامَةَ قَالَ بَعْضُ الْأَنْصَارِ لِعُمَرَ: قُلْ لَهُ فَلْيُؤَمِّرْ عَلَيْنَا غَيْرَ أُسَامَةَ. فَذَكَرَ لَهُ عُمَرُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ بِلِحْيَتِهِ وَقَالَ: ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَأُؤَمِّرُ غَيْرَ أَمِيرِ رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) ؟ ! ثُمَّ نَهَضَ بِنَفْسِهِ إِلَى الْجُرْفِ فَاسْتَعْرَضَ جَيْشَ أُسَامَةَ وَأَمَرَهُمْ بِالْمَسِيرِ، وَسَارَ مَعَهُمْ مَاشِيًا، وَأُسَامَةُ رَاكِبًا، وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ يَقُودُ بِرَاحِلَةِ الصِّدِّيقِ، فَقَالَ أُسَامَةُ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ، إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ وَإِمَّا أَنْ أَنْزِلَ. فَقَالَ: وَاللَّهِ لَسْتَ بِنَازِلٍ وَلَسْتُ بِرَاكِبٍ. ثُمَّ اسْتَطْلَقَ الصِّدِّيقُ مِنْ أُسَامَةَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وَكَانَ مُكْتَتَبًا فِي جَيْشِهِ - فَأَطْلَقَهُ لَهُ، فَلِهَذَا كَانَ عُمَرُ لَا يَلْقَاهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا قَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْأَمِيرُ (١).

وعَنْ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ذُكِرَ عِنْدَهُ أَبُو بَكْرٍ فَبَكَى وَقَالَ :وَدِدْتُ أَنَّ عَمَلِي كُلَّهُ مِثْلُ عَمَلِهِ يَوْمًا وَاحِدًا مِنْ أَيَّامِهِ، وَلَيْلَةً وَاحِدَةً مِنْ لَيَالِيهِ، أَمَّا لَيْلَتُهُ فَلَيْلَةٌ سَارَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى الْغَارِ فَلَمَّا انْتَهَيَا إِلَيْهِ قَالَ: وَاللَّهِ لَا تَدْخُلُهُ حَتَّى أَدْخُلَ قَبْلَكَ، فَإِنْ كَانَ فِيهِ شَيْءٌ أَصَابَنِي دُونَكَ، فَدَخَلَ فَكَسَحَهُ، وَوَجَدَ فِي جَانِبِهِ ثُقْبًا، فَشَقَّ إِزَارَهُ، وَسَدَّهَا لَهُ ، وَبَقِيَ مِنْهَا اثْنَانِ فَأَلْقَمَهُمَا رِجْلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - : ادْخُلْ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَامَ فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ وَلَمْ يَتَحَرَّكْ مَخَافَةَ أَنْ يُشْبِهَ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ- فَقَالَ : (مَالَكَ يَاأَبَا بَكْرٍ ؟) قَالَ : لُدِغْتُ ، فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي ، فَتَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ- فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ ، ثُمَّ انْتَقَضَ عَلَيْهِ، وَكَانَ سَبَبَ مَوْتِهِ وَأَمَّا يَوْمُهُ ، فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ارْتَدَّتِ الْعَرَبُ وَقَالُوا : لَا نُؤَدِّي زَكَاةً فَقَالَ : لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا

(١) البداية والنهاية» سنة إحدى عشرة من الهجرة.

لَجَاهَدْتُهُمْ عَلَيْه فَقُلْتُ : يَا خَليفَةَ رَسُول اللهَّ ﷺ! تَأَلَّف النَّاسَ وَارْفُقْ بهِمْ فَقَالَ لِي : أَجَبَّارٌ فِي الْجَاهِلِيَّة وَخَوَّارٌ فِي الْإِسْلَام ؟ إِنَّهُ قَد انْقَطَعَ الْوَحْيُ وَتَمَّ الدِّينُ أَيَنْقُصُ وَأَنَا حَيٌّ ؟ رَوَاهُ رَزِينٌ (١) .

وَقَدْ رَوَى الْحَافظُ ابْنُ عَسَاكرَ: عن صَالحُ بْنُ كَيْسَانَ قَالَ: لَمَّا كَانَت الرِّدَّةُ قَامَ أَبُو بَكْرٍ فِي النَّاس، فَحَمدَ اللهَّ وَأَثْنَى عَلَيْه ، ثُمَّ قَالَ: الْحَمْدُ للهَّ الَّذي هَدَى فَكَفَى، وَأَعْطَى فَأَغْنَى، إِنَّ اللهَّ بَعَثَ مُحَمَّدًا ﷺ وَالْعلْمُ شَريدٌ، وَالْإِسْلَامُ غَريبٌ طَريدٌ ، قَدْ رَثَّ حَبْلُهُ، وَخَلُقَ عَهْدُهُ، وَضَلَّ أَهْلُهُ منْهُ، وَمَقَتَ اللهَّ أَهْلَ الْكتَاب فَلَا يُعْطيهِمْ خَيْرًا لخَيْرٍ عنْدَهُمْ، وَلَا يَصْرفُ عَنْهُمْ شَرًا لشَرٍّ عنْدَهُمْ ، قَدْ غَيَّرُوا كتَابَهُمْ ، وَأَلْحَقُوا فيه مَا لَيْسَ منْهُ، وَالْعَرَبُ الْأُمِّيُّونَ صفْرٌ منَ اللهَّ لَا يَعْبُدُونَهُ وَلَا يَدْعُونَهُ، فَأَجْهَدَهُمْ عَيْشًا، وَأَضَلَّهُمْ دينًا، في ظَلَف منَ الْأَرْض مَعَ مَا فيه منَ السَّحَاب، فَجَمَعَهُمُ اللهَّ بمُحَمَّد وَجَعَلَهُمُ الْأُمَّةَ الْوُسْطَى، نَصَرَهُمْ بمَن اتَّبَعَهُمْ، وَنَصَرَهُمْ عَلَى غَيْرهمْ، حَتَّى قَبَضَ اللهَّ نَبيَّهُ ﷺ، فَرَكبَ منْهُمُ الشَّيْطَانُ مَرْكَبَهُ الَّذي أَنْزَلَهُ عَلَيْه، وَأَخَذَ بأَيْديهمْ ، وَبَغَى هَلَكَتَهُمْ، ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ منْ قَبْله الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابكُمْ وَمَنْ يَنْقَلبْ عَلَى عَقبَيْه فَلَنْ يَضُرَّ اللهَّ شَيْئًا وَسَيَجْزي اللهَّ الشَّاكرينَ ﴾ (٢)، إِنَّ مَنْ حَوْلَكُمْ منَ الْعَرَب مَنَعُوا شَاتَهُمْ وَبَعيرَهُمْ، وَلَمْ يَكُونُوا في دينهمْ - وَإِنْ رَجَعُوا إِلَيْه - أَزْهَدَ منْهُمْ يَوْمَهُمْ هَذَا، وَلَمْ تَكُونُوا في دينكُمْ أَقْوَى منْكُمْ يَوْمَكُمْ هَذَا، عَلَى مَا قَدْ تَقَدَّمَ منْ بَرَكَة نَبيِّكُمْ ﷺ، وَقَدْ وَكَلَكُمْ إِلَى الْمَوْلَى الْكَافي، الَّذي وَجَدَهُضَالا

(١) مشكاة المصابيح» كتاب المناقب والفضائل _ الفصل الثالث _ رقم الحديث (٦٠٣٤).

(٢) سورة آلِ عِمْرَانَ - الآية ١٤٤ .

فَهَدَاهُ، وَعَائِلًا فَأَغْنَاهُ وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا (١)،وَاللهِ لَا أَدَعُ أَنْ أُقَاتِلَ عَلَى أَمْرِ اللهِ حَتَّى يُنْجِزَ اللهُ وَعْدَهُ، وَيُوفِيَ لَنَا عَهْدَهُ ، وَيُقْتَلَ مَنْ قُتِلَ مِنَّا شَهِيدًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَيُبْقِيَ مَنْ بَقِيَ مِنَّا خَلِيفَتَهُ وَوَرَثَتَهُ فِي أَرْضِهِ، قَضَاءُ اللهِ الْحَقُّ، وَقَوْلُهُ الَّذِي لَا خُلْفَ لَهُ ﴿ وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنْكمْ وَعَمِلوا الصَّالِحَاتِ لَيسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأرض كمَا اسْتَخْلفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكنَنَّ لهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢) ثُمَّ نَزَلَ ، رَحِمَهُ اللهُ (٣).

وكان الذي يرجع إلى الإسلام ممن ارتد من العرب يخرج مع المسلمين وجاء الرعب في قلوب الروم.. وصالحوا أسامة ﷺ على الجزية ورجع عنهم، في شهر رجع الناس إلى الإسلام وانقشعت تلك الفتنة، **فرحم الله أبى بكر كان حريصا على الإسلام وأهله.. منذ أسلم وهو حريصا على الإسلام حتى عند موته** فقد أخرج بن جرير الطبري من طريق سيف: ..... وَقَدْ كَانَ مَرِضَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَ مَخْرَجِ خَالِدٍ إِلَى الشَّامِ مَرْضَتَهُ الَّتِي مَاتَ فِيهَا بِأَشْهُرٍ، فَقَدِمَ الْمُثَنَّى وَقَدْ أُشْفِيَ وَعَقَدَ لِعُمَرَ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَقَالَ: عَلَيَّ بِعُمَرَ فَجَاءَ، فَقَالَ لَهُ: اسْمَعْ يَا عُمَرُ مَا أَقُولُ لَكَ ثُمَّ اعْمَلْ بِهِ، إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَمُوتَ مِنْ يَوْمِي هَذَا وَذَلِكَ يَوْمُ الاثْنَيْنِ، فَإِنْ أَنَا متُّ فَلا تُمْسِيَنَّ حَتَّى تَنْدُبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى، وَإِنْ تَأَخَّرْتُ إِلَى اللَّيْلِ فَلا تُصْبِحَنَّ حَتَّى تَنْدُبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى، **وَلا تَشْغَلَنَّكُمْ مُصِيبَةٌ وَإِنْ عَظُمَتْ عَنْ أَمْرِ دِينِكُمْ وَوَصِيَّةِ رَبِّكُمْ**، وَقَدْ

(١) سورة آل عمران – الآية ١٠٣ .

(٢) سورة النور – الآية ٥٥ .

(٣) البداية والنهاية» سنة إحدى عشرة من الهجرة»الحوادث الواقعة في الزمان ووفيات المشاهير والأعيان سنة إحدى عشرة من الهجرة » فَصْلٌ فِي تَصَدِّي الصِّدِّيق لِقِتَالِ أَهْلِ الرِّدَّةِ وَمَانِعِي الزَّكَاةِ ..

رَأَيْتَنِي مُتَوَقِّى رَسُولِ اللهَّ ﷺ وَمَا صَنَعْتُ، وَلَمْ يُصَبِ الْخُلْقُ بِمِثْلِه، وَباللهَّ لَوْ أَنِّي أَنِي عَنْ أَمْرِ اللهَّ وَأَمْرِ رَسُولِه لَخَذَلَنَا وَلَعَاقَبَنَا فَاضْطَرَمَت الْمَدِينَةُ نَارًا، وَإِنْ فَتَحَ اللهُّ عَلَى أُمَرَاءِ الشَّامِ، فَارْدُدْ أَصْحَابَ خَالِدٍ إِلَى الْعِرَاقِ، فَإِنَّهُمْ أَهْلُهُ وَوُلاةُ أَمْرِه وَحْدَهُ، وَأَهْلُ الضَّرَاوَةِ مِنْهُمْ وَالْجَرَاءَةِ عَلَيْهِمْ. وَمَاتَ أَبُو بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُّ مَعَ اللَّيْلِ، فَدَفَنَهُ عُمَرُ لَيْلا، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي الْمَسْجِدِ، وَنَدَبَ النَّاسَ مَعَ الْمُثَنَّى بَعْدَمَا سَوِيَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ (١) .

فالله ﷻ فهمنا بواسطة أبى بكر الصديق، أننا إذا قمنا بالجهد على طريق الرسول ﷺ ، فالله ﷻ يحيى الدين سواء عندنا الأسلحة أم لا.. عندنا الملك.. أم لا.. مقصد الرسول ﷺ مقصدنا، ونقوم على هذا المقصد ابتغاء مرضاة الله ﷻ.

فلا نيأس !!! ونقول الحياة اليوم كذا وكذا.. فالأنبياء عليهم السلام كانوا يعيشون في بيئات فاسدة، وكان الكل يخالفهم وبسبب الجهد لله ﷻ غير أقوامهم(٢).

يقول الشيخ إلياس(رحمه الله)في خطاب وجهه لأحد زملائه: " ولكن تلك الفتن القاصمة المظلمة الملتهبة والمحرقة للإيمان، التي تقضي على حماسة المسلمين لدينهم، سرعتها أكبر بكثير من سرعة القاطرة، أما حركة الدعوة للحق فسرعتها أبطأ وأقل من سرعة النملة، وهذا القدر لا يكفي لإرواء الظمأ أمام تلك الفتن، فالاشتغال بالدعوة، وسط هذه الفتن، هو الطريق الوحيد لإنقاذ البشرية من ظلمات البر والبحر، ولرفع مكانة الأمة وتقربها إلى الله، ولكن تلبية الناس بالتشوق المحض – دون العمل – لا تكفي لري الأرض اليابسة، ولا يكفي هذا المرهم للشفاء ، لأن الناس قد نسوا العمل لدرجة أنهم يعتقدون أن الموافقة بالقول أو

(١) حياة الصحابة ٤١٥/١، تاريخ الأمم والملوك للطبري _ خبر اليرموك ٢١٣/٣.
(٢) فرضية الدعوة إلى الله (من كلام الشيخ عبد الوهاب أمير باكستان) الجزء الأول _ بقلم المؤلف.

التلبية باللسان فقط، هي غاية العمل وانتهاؤه، فإن لم يقم البعض بالعمل السليم – كقدوة – للتضحية في سبيل الدعوة إلى الله، فلا يمكن أن نصل إلى طريق العمل السليم من ميدان التلبية "(١) .

(١) الشيخ محمد إلياس الدهلوي(حياته ومنهجه في الدعوة إلى الله) للداعية الإسلامي الدكتور عبد الخالق بيرزادة (نقله من مكاتيب الشيخ محمد إلياس) .

فروق في جهد النبوة

♠ هناك عدة فروق بين زمن الصحابة وبين زماننا في جهد النبوة:

الفرق الأول: الجهد في زمن الصحابة انطلق من المسجد لجميع بقاع الأرض ـ وهذا هو الأصل ـ لذلك بارك الله في الجهد.

أما الجهد الذي ينطلق من الجامعات والمعاهد والبيوت وغيرها من الأماكن، فليس فيه نفس البركة، لأن جهد النبي له منطلق وهو المسجد، ولا يكون المنطلق من غيره إلا عند الخوف، كما بدأ في دار الأرقم بن أبي الأرقم بمكة.

فبعودة الانطلاق للدعوة من المسجد تعود للمساجد رسالتها من الدعوة إلى الله والتعليم والتعلم والعبادات والذكر والخدمة، واستقبال وفود الاسلام وتوديعهم.

ومع هذا من تخرج من الجامعة فلا بأس، شريطة أن يصحح نيته، ويقوم بالدعوة على منهج النبوة.

الفرق الثاني: أن كل أعمال الدين في زمن النبي والصحابة لوجه الله تعالى بدون مقابل ـ دعوة.. أذان.. إمامة.. خدمة المسجد.. تطبيقا لقول الله تعالى: ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ * إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾(١)، وقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَىَ رَبّ الْعَالَمِينَ ﴾(٢).

---

(١) سورة ص – الآيات من ٨٦ : ٨٨.

(٢) سورة الشعراء - الآية ١٠٩ .

أما في زماننا هذا الكل يطلب الأجر سواء(الخادم أو المؤذن أو الإمام) وكأن عملهم وظيفة مدنية ، كل ما فيها الراتب الشهري.

أما جهد الدعوة فهو جهد الأنبياء، لا نطلب فيه أجر(مال، شهرة، منصب، وجاهة).

الفرق الثالث: لم يجلس الرسول ﷺ وأصحابه ينتظر الناس يأتون إليهم فيدعونهم، بل ذهب النبي وأصحابه للناس في بيوتهم وأنديتهم وأسواقهم.

أما في زماننا فصاحب العلم يجلس في المسجد ينتظر من يأتيه في المسجد، وحول المسجد الأسواق والمحال التجارية، وفيها تاركين الصلاة لا يأتون المسجد.. والمسجد لا يأتي إليه إلا من كان في الهداية، أما العصاة ومن في ضلال فهم بعيدون ولا يذهب إليهم أحد، مع أنهم أولى من غيرهم، وبهذه الطريقة ينحصر الدين في المسجد، أو داخل البيت وهذا ما يرتب له أعداء الإسلام.

الفرق الرابع: إن مسئولية الدين وضعها الله على عاتق الأمة بعد نبيها، فقد قال الله تعالى للنبي وأمته: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (١)، فتحمل الصحابة المسئولية.

أما في زماننا هذا لم نستقبل تلك المسئولية بالقدر المطلوب والتضحية التي تستلزم لهذا العصر وفتنته.

الفرق الخامس: تحرك الصحابة رضي الله عنهم في العالم، وحركتهم حطمت قوي الباطل في زمانهم، لأنهم صاروا كما ينبغي، وضحوا التضحية المطلوبة منهم، فكانت حركتهم مثل الصاروخ الذي ضرب في صخرة ففتتها.

---

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨

لكن في زمننا هذا تركنا الحركة للدين، وتركنا الجهد والتضحية للدين بالمال والنفس والوقت، وأصبحنا متثاقلين، ودخل حب الدنيا في قلوبنا وكرهنا الموت، فتقاعسنا عن المكرمات، وأصبحنا نحن الذين نُحطم أمام قوى الباطل، وتُنْتقص أرض الإسلام وتُنهب في كل مكان، لتركنا التضحية لدين الله .

ولكن لو تحركنا وخرجنا للناس فإن حركة المؤمنين للدين مثل حركة الماء الجاري المتدفق من الجبل، يُحطم الصخور ويساوي الأرض، ويستفيد منه الزرع والشجر، وتظهر بسببه البساتين والثمار.. ولكن لو وقف هذا الماء، وحُبسَ، ولم يتحرك، لأصبح ماءً راكدا، وتظهر فيه الجراثيم والأمراض والأوساخ، وهكذا لو بقي المسلمون في بيوتهم، واكتفوا بما هم فيه، لظهر الفساد والأمراض التي لم تكن في أسلافهم من قبل، ولزادت الفتن (١).

ويقول الشيخ محمد إلياس(رحمه الله) في رسالة أرسلها إلى أحد الميواتيين (٢):

عزيزي ! إن جهل المرء وغفلته وقعوده عن السعي وراء الحق، كل ذلك مفتاح كل فتنة، ومادام الرجل يتصف بهذه الصفات في طبيعته وعقليته وعواطفه، سترى نهوض فتن لا يأتي عليها الحصر، ولا تستطيع أن تصنع شيئا وتغير وضعا ، وللقضاء على الفتن الحاضرة، وسدا للمنافذ أمام الفتن القابلة، لابد من التركيز على الخروج إلى " أترابراديش " تدريبا على تحقيق المهمة التي يجرى العمل بتحقيقها اليوم في بلدكم، وليس هناك سبيل غير هذا السبيل (٣).

---

(١) من كلام محمد عمر البالمبوري رحمه الله (كتاب لسان الدعوة والتبليغ).

(٢) نسبة إلى منطقة ميوات بالهند وهي أول منطقة اجتهد فيها الشيخ محمد إلياس وقام أهلها معه بجهد الدعوة إلى الله.

(٣) الداعية الكبير الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي (رحمه الله تعالى) ودعوته إلى الله تأليف العلامة الإمام الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوي رحمه الله تعالى ــ.ص- ٤٧.

الدعوة والتبليغ

عَنْ عَبْدِ اللهَّ بْنِ عَمْرٍو، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ:" بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلاَ حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ"(١).

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهَّ بْنِ مَسْعُودٍ يُحَدِّثُ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: نَضَّرَ اللهُّ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاهَا وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهَّ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ "(٢).

---

(١) صحيح البخاري_ كتاب أحاديث الأنبياء _ باب ما ذكر عن بني إسرائيل _ حديث رقم ٣٣٠٢.

(٢) سنن الترمذي _ رقم الحديث: ٢٦٠١() وصححه.ورواه الحميدي(٨٨)والشافعي(١٨٠٦) والحديث صحيح وهو مروي عن عدة من الصحابة غير ابن مسعود.ومنهم زيد بن ثابت كما عند ابن ماجة(٢٣٠) وأبُو دَاوُدَ الطيالسي(٦١٦) وابن حبان(٦٨٠) ومنهم جبير بن مطعم عند ابن ماجة(٣٠٥٦) وأحمد(١٦٧٥٤) والدارمي(٢٣٤)والبزار (٣٤١٧) وأخرجه الطبراني في الكبير رقم (١٥٤١) والحاكم(٢٩٦) وغيرهم.

وأخرجه الطبراني في الأوسط برقم(٥٢٩٢) عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ وبرقم(٦٧٨١) و(٧٩٥٣)عَنْ أَبِي إِدْرِيسَ الخَوْلَانِيِّ ، عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، وبرقم(٩٤٤٤) عن عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم(١٢٢٤) عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ، عَنْ أَبِيهِ، ورقم(٩٤) عن الشعبيِّ ومجاهدٍ؛ عن النعمانُ بنُ بَشيرٍ، وأخرجه الطبراني في الكبير رقم(٧١٩٤) عَنْ مُحَيِّصَةَ، عَنْ شَيْبَةَ بْنِ عُثْمَانَ بن طلحة .

والمعنى: قال في النِّهاية: "يروى يُغِلُّ؛ بضم الياء من الإغلال، وهو الخيانة في كل شيء وبفتحها من الغل، وهو الحقد، والشحناء؛أي لا يدخله حقد يزيله عن الحق، وروى "يغل" بتخفيف اللام من الوغول=

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:" مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنْ النَّارِ "(١).

الدعـوة والتبليـغ وظيـفـة وتكليف من الله سبحانه وتعالي لكل فرد في هذه الأمة المحمدية.. عربي كان أو أعجمي.

فمن الواضح أن القوات المسلحة لكل دولة في العالم إنما هي لحماية الحدود والأعراض وكل ما هو في داخل البلد وخارجه .

فهي تحارب العدوان على الحدود، فإن دخل البلاد فإنها تحارب في داخلها حسب القواعد العسكرية فتحمى شعبها من كل ضار وسوء.

فهي مسئولة عن الشعب في سواد الليل وبياض النهار، ومستعدة لحمايته بكل

= في الشيء؛ والمعنى أنَّ هذه الخلال الثلاث يستصلح بها القلوب، فمن تمسك بها طهر قلبه من الخيانة والدغل والشر.

"وعليْهِنَّ" في موضع الحال، تقديره لا يغل كائنا عليهنَّ" انتهى.

وقال البيضاوي: "هذه الجملة استئنافية تأكيد لما قبله، فإنه - صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ - لما حرَّض على تعلم السنن ونشرها قفاه برد ما عسى أن يعرض مانعًا وهو الغل من ثلاثة أوجه:

أحدها: أنَّ تعلم الشرائع، ونقلها ينبغي أن يكون خالصًا لوجه الله مبرأ عن شوائب المطامع والأغراض الدنيويَّة، وما كان كذلك لا يتأثر عن الحِقد، والحسَد.

وثانيها: أنَّ أداء السنن إلى المسلمين نصيحة لهم، وهي من وظائف الأنبياء، فمن تعرض لذلك وقام به كان خليفة لمن يبلغ عنه، وكما لا يليق بالأنبياء أن يهملوا أعداءهم ولا ينصحوهم لا يحسن من حامل الأخبار وناقل السنن أن يمنحها صديقه، ويمنع عدوه.

وثالثها: أنَّ النقل ونشر الأحاديث إنما يكون غالبًا بين الجماعات، فحث على لزومها ومنع عن النأي عنها لحقد، وضغينة، تكون بينه وبين حاضر بها، ببيان ما فيها من الفائدة العظمى، وهي إحاطة دعائهم بهم من ورائهم فتحرسهم عن مكائد الشيطان وتسويله". انتهى.

"فإنَّ دعوتهم تُحيط من ورائهم". قال في النهاية: "أي: تحوطهم وتكنُفهُمْ، وتحفظهم يريد أهل السنة دون أهل البدعة، والدَّعوة المرَّة الواحدة من الدعاء".

(١) صحيح مسلم» مقدمة» باب تغليظ الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وسائل يمكن للبشر استخدامها، والشعب مشغول في مآربه، أو مستريح في جدران البيوت والقصور .....إلخ .

ولكنه إذا غزا جيش العدو ودخل البلاد وخاصة في العمران فلم تبق المسئولية مسئولية الجيش فقط، وإنما تقع حينئذ المسئولية على عاتق كل من يقطن هذا البلد أن يحمى نفسه وعرضه ووطنه وأهله.

وإذا قال أحد – في مثل تلك الظروف – أن المسئولية كانت على عاتق الجيش الذى تُصرف عليه معظم أموال الدولة، وجلس مكتوف الأيدي في مقاعد المتفرجين فالهلاك له ولقومه نتيجة حتمية، لا يحول دونه أحد.. وكان هذا لحماية الجسم والأشياء المادية مع حماية الأعراض.

أما في مجال المسائل المعنوية وبالتحديد المسائل الإيمانية، فنقول وبالله نستعين إن العلماء والدعاة هم أول من تقع المسئولية على عاتقهم، ولكن العدو في كثرة، وأصبحت الخيانة مباحة، ودخلت جيوش العدو في داخل بيوت المسلمين، وتسير أفواج الشياطين كسريان الدم في الشرايين، وعجزت أجهزة الدعوة بسبب ضعفها – من جميع النواحي – عن حماية إيمان شعبها، ففي تلك الظروف لم ولن تنحصر مسئولية الدعوة إلى الله أو إبلاغ رسالة خاتم الأنبياء والتمسك بالكتاب والسنة على الدعاة والمشايخ وعلماء الإسلام فحسب، بل يجب على كل مسلم ومسلمة أن يساهم في الدفاع عن تلك الهجمات العنيفة التي يقوم بها العدو من الخارج والداخل حيث أصبحت حصوننا مهددة من داخلها، وخارجها ، وأشهر العدو جميع أسلحته لتدمير الإسلام وإبادة المسلمين .

يقول الشيخ محمد عيسى الفيروز بورى(١) **في كتابه** (**العمل المحلى** لتبليغ **الدعوة** صـ ٨): لقد اعتقد الشيخ محمد إلياس (رحمه الله) أن الإنسان يجتهد في معرفة استخدام كل آلة وماكينة قدر استطاعته، وخاصة ما يفيده في حياته، أو يتعلق بشئونه المادية أو غيرها من الاحتياجات في الحياة .

ولكن هذا الإنسان الذى اشتهر عصره بالعلوم والفنون، والاختراعات – أكثر مما عرفته البشرية في العصور الماضية كلها – يجهل معرفة استخدام أكبر آلة أو ماكينة أوتوماتيكية، ولا يرغب في معرفة استخدامها الاستخدام السليم الصحيح، حتى يستفيد منها بقدر ما يمكن له، وهذه الآلة هي جسمه الذى عجز الإنسان عن معرفة أسراره رغم جميع ما يملك من القوات والطاقات المادية والمعنوية، فضلا عن أن يعرف عن (الروح) التي هي أصل الإنسان، ومحركه، ولولاه لما دُعي الإنسان إنسانا، ومن الغريب أنه لو عرضت عليه طرق استخدام تلك الآلة لرفضها أو اعتذر بسبب نسبتها إلى الإسلام أو الدين، أو قال: **إن مذهبنا المادي يمنع استخدام أو اختيار تلك الطرق التي يرشد إليها الإسلام أليست هذه عداوة** لنفسه.

ويقول أيضا في كتابه (**العمل المحلى** لتبليغ **الدعوة** صـ ١٢) : يقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن الإسلام ما هو إلا اسم لمجموعة من السلوك والطرق التي وضعها الخالق القدير لأشرف مخلوقاته، وأرسلها بطريق الوحى على محمد (ﷺ) للإنسانية جمعاء .

---

(١) تلميذ الشيخ محمد إلياس.

فالإنسان والجماعة والشعب والقوم الذين يريدون النجاح ونيل السعادة الكاملة في الكون عليهم أن يختاروا تلك الطرق، سواء كان يتعلق بالإسلام أو بمذهب آخر، فالتمسك بها يضمن السعادة بلا ريب، وذلك لأن الإسلام يحتضن في كيانه الإيمان الكامل، والعبادات، ونظام المعاشرة والمعاملات، ونظم المعيشة والأخلاقيات، وغير ذلك مما يحتاج إليه الإنسان في حياته.

ولإكمال فوائد تلك التعليمات الإلهية كلف نبيه أن يقدمها للإنسانية، حيث تُختار فيه جميع الطرق الفطرية التي تقبلها طبيعة الإنسان دون مشقة أو تعب.

وبناء على ذلك حدد سبحانه وتعالى منهج نبيه وهو: أن يلتزم بأوامر الله هادفا إلى الدعوة إليه، مع تقديم التعاليم والتكاليف بطرق فطرية وعملية، ثم فوضت تلك الأمانة إلى الأمة الإسلامية طبقا لنفس المنهج أي: التمسك بالكتاب والسنة والتمسك بأوامر الله هادفا إلى الدعوة، وإن غيرت الأمة هذا الترتيب أو حرفت تلك الأساليب النبوية لن تنال الأمة نجاحا ولا نجاة .

ويقول الشيخ محمد إلياس (*رحمه الله*): إن سيدنا محمد النبى الأعظم قد جاء بشريعة كما جاء آخرون من الأنبياء بشريعة ، وأن إنجيل سيدنا عيسى لم ينسخ التوراة ، وإنما عدل فى أحكامها، ولكن القرآن الذى نزل على سيدنا محمد (ﷺ) نسخ جميع الكتب ، وأن أتباعها اليوم مباشرة لايجوز.

والشيىء الذى يمتاز به سيدنا النبى (ﷺ) هو أسلوب التبليغ وطريق عرض الدعوة ، إن الأنبياء الآخرين بعثوا وسلسلة النبوة متتابعة ، وبعثة الأنبياء لم تتوقف فلم يحتاجوا إلى تلك العناية التى لازمها سيدنا محمد (ﷺ)، بحكم انتهاء سلسلة

النبوة بعده، وتحمل أمته بعده للقيام بمسئولية الدعوة والتبليغ، فكان يبعث أصحابه جماعات لتعليم أحكام الدين ، ونحن بأمس الحاجة اليوم، إلى أن نحيى هذا الطريق للدعوة والتبليغ (١).

ويقول الشيخ محمد إلياس (رحمه الله): إن معنى﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (٢).

هو إنكم ظهرتم كالأنبياء للناس، بينما تجد الإشارة في قوله تعالى: (أُخْرِجَتْ) أن العمل لا يكتمل في مكان واحد بل تبذل الجهود بالذهاب إلى كل بيت ومكان، فعملكم الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

أما المراد بقوله جل وعلا: (وَتُؤْمِنُون بِاللهِ) بعد ذكر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو: أن الحقائق الإيمانية تتقدم وتترقى بهذا العمل، إذ إن أصل الإيمان وحصوله وترسيخه في القلوب يؤكد قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أمة أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُون بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْن عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُون بِاللهِ ﴾(٣)، فالإيمان كان موجودا في الأمم السابقة، ولكن سبب فضل هذه الأمة على سائر الأمم ليس هو إلا: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والذى هو أحسن الطرق لترسيخ حقائق الإيمان في القلوب .

ويشرح الأستاذ العلامة الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوى - رحمه الله - هذا

---

(١) الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية للندوي.

(٢) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

(٣) سورة آل عمران – الآية ١١٠.

القول إذ يقول في كلمة تقديم كتاب (فضائل **الدعوة إلى الخير والتبليغ لدين الله**) - **الذى أمر بترتيبه الشيخ / محمد إلياس للشيخ محمد زكريا**: وقد فتحت هذه الآية الكريمة نافذة عظيمة منيرة كانت مسدودة في معرفة طبائع الأمم، والاطلاع على ميزة هذه الأمة من بين شعوب العالم، وأثارت علما دفينا وكنزا مطمورا، وأحدثت انقلابا في النظرة إلى هذه الأمة، ومركزها، وقيمتها، وهو أن ظهور هذه الأمة على منصة العالم، ومسرح التاريخ والأمم لم يكن مجرد ظهور مجموعة بشرية أو كتلة إنسانية، ولم تكن موجة من الموجات البشرية الكثيرة، ولا من فقاقيع الماء التي تظهر وتختفى، وتتكون وتنحدر، إنه ليس خروجا كخروج سائر الأمم، إنما هو إخراج تسيطر عليه الحكمة الإلهية، وتمده إرادة الله القاهرة، وهو تعبير لم يستخدم إلا في قضايا الأنبياء المكرمين، وعباد الله المرسلين، وإن كان يفسر بشيء فإنه يفسر بلفظ الإرسال والبعثة.

وقد جاء الحديث الصحيح يفسره، إذ يقول ﷺ مخاطبا أصحابه :" إِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ " (١)، ولم يكن أحد أعرف من رسول الله ﷺ بخطر هذا التعبير وقيمته، واختصاصه بالأنبياء والمرسلين، وقد ورد في القرآن في شأن الأنبياء في مواضع كثيرة يصعب استقصاؤها، ولم يكن رسول الله ﷺ يتكلم جزافا، ويرسل الكلام على عواهنه، إنما كان يزن الكلام وزنا، وقد كان كلامه فصلا لا فضول فيه ولا تقصير، ولا إطراء ولا مبالغة، بل يحتم قول الله سبحانه وتعالى

---

(١) صحيح البخاري ٥٥٧٨،٥٦٩٠، سنن أبي داود ٧٤٩، سنن النسائي الصغرى ٥٦،٣٢٨،١٢٠٠،١٢٠١،١٢١٧، مسند أحمد بن حنبل ٧٦٠٤، ٧٦٠٦، صحيح ابن خزيمة ٣٠٧،٨٣٤، صحيح ابن حبان ٩٩٩ ، ١٤٢٦ ، ١٤٢٧، ١٤٢٩، السنن الكبرى للنسائي ٥٤ ،٥٥٤ ،١١٢٣،١١٢٤، وغيرهم.

مدى صدق أقوال نبيه إذ يقول:﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِن هُوَ إِلا وَحْيٌ يُوحَى﴾ (١)، فكلامه إما أن يكون وحيا وإما أن يكون شرحا للوحى.

فإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن هذه الأمة مقصودة مهيأة ، مأمورة مبعوثة، وقد طاب لذلك وساغ لأحد رسل المسلمين، الذى اختاره الصحابي الجليل سعد بن أبى وقاص ليكون ترجمانا للإسلام والمسلمين أن يقول في مجلس ملك الفرس: إن اللهَّ ابْتَعَثَنَا لنُخْرِجَ مَنْ شَاءَ منْ عِبَادَة الْعِبَاد إِلَى عِبَادَة اللهَّ، وَمنْ ضيق الدُّنْيَا إِلَى سعَتِهَا، وَمنْ جَوْر الْأَدْيَان إِلَى عَدْل الْإِسْلَام، فَأَرْسَلَنَا بدينه إِلَى خَلْقه لنَدْعُوَهُمْ إِلَيْه، فَمَنْ قَبلَ ذَلكَ قَبلْنَا منْهُ وَرَجَعْنَا عَنْهُ، وَمَنْ أَبَى قَاتَلْنَاهُ أَبَدًا حَتَّى نُفْضيَ إِلَى مَوْعُود اللهَّ. قَالُوا: وَمَا مَوْعُودُ اللهَّ ؟ قَالَ: الْجَنَّةُ لمَنْ مَاتَ عَلَى قتَال مَنْ أَبَى، وَالظَّفَرُ لمَنْ بَقيَ (٢).

ولتحقيق هذا الأمر وكل الله سبحانه وتعالى هذه الأمة نيابة نبيها الخاتم في تبليغ آخر الأديان، وخاتمة الرسالات، وهكذا ربط مصير الإنسانية بها، وإلى ذلك يشير قول النبي ﷺ في خطبته التي خطبها في حجة الوداع ، عن سُلَيمُ بْنُ عَامرٍ ، قَال: سَمعْتُ أَبَا أُمَامَةَ ، يَقُولُ: سَمِعْتَ رَسُول اللهِ ﷺ يَخْطبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ ، فقال :" اتَّقُوا اللهَّ رَبَّكُمْ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ وَصُومُوا شَهْرَكُمْ وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالكُمْ وَأَطيعُوا ذَا أَمْركُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ . " قَالَ: فَقُلْتُ لأَبِي أُمَامَةَ مُنْذُ كَمْ سَمعْتَ منْ رَسُول اللهَّ ﷺ هَذَا الْحَديث، قَالَ: سَمعْتُهُ وَأَنَا ابْنُ ثَلَاثينَ سَنَةً. قال أبُو عِيسَى: هَذا

(١) سورة النجم– الآيتان ٣ ، ٤.

(٢) البداية والنهاية» سنة أربع عشرة من الهجرة» غزوة القادسية - تجهيز رستم للخروج لسعد - فصْلٌ فِي غَزْوَةِ الْقَادِسِيَّةِ .

حَدِيث حَسَنٌ صَحِيح (١).

ولذلك ساغ له (ﷺ) أن يقول في ساحة بدر: .....اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ(٢).

فبقاء الإنسانية ببقاء هذه الأمة، وبقاء هذه الأمة ببقاء هذه الصفة الدعوية والمركز الإبلاغي، وبمحافظتها على فريضتها الأساسية،ونشاطها في مجال الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالاته التي حملتها عن نبيها، فإذا فقدت هذه الصفة أو أصبحت مغمورة مطمورة ضاعت هذه الأمة، أو تحللت وذابت في خضم الأمم ولجة الغايات والفلسفات، ومناهج الحياة، وأشرفت الدنيا كلها على الخطر، وتعرضت الإنسانية للتلف، وأصبحت المدنية كلها جسما بلا روح ولفظا بلا معنى.

وقد استقامت هذه الأمة، وسارت سيرها الطبيعي، وبذا استقامت الأمور وسلمت البشرية ما دامت هذه الأمة محافظة على غايتها ورسالتها، قوية نشيطة في أمر الدعوة إلى الله، والحسبة على الناس، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

ونظرا لذلك كان إخلالها بهذا الواجب وتقويضها لهذا الركن الركين ثورة على طبيعتها، وانحرافا عن جادتها، وجناية على البشرية جمعاء تبعتها أمراض وعلل واختلالات واضطرابات يشاهدها الإنسان، ويذوق سمومها في كل مجال من مجالات الحياة، وفى كل مجتمع من المجتمعات البشرية، ولا سبيل إلى إعادة الأمور إلى نصابها، ودخول البيوت من أبوابها إلا بعودة هذه الأمة إلى أداء واجبها وإلى سيرتها

---

(١) رواه الترمذي وأحمد وابن حبان والحاكم والطبراني والدارقطني، وغيرهم.

(٢) جزء من حديث في صحيح مسلم» كتاب الجهاد والسير» بَاب الْإِمْدَادِ بِالْمَلَائِكَةِ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وَإِبَاحَةِ الْغَنَائِمِ (١٧٦٣).

الأولى في أمر الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالات الله والقيام بالقسط، والشهادة لله، والحسبة على الأخلاق والأعمال والتعاون على البر والتقوى، والتواصي بالحق والصبر.

ويقول الشيخ / احتشام الحسن الكاندهلوى (رحمه الله) في كتابه (المنهج العملي للشيخ محمد إلياس): اعتقد الشيخ محمد إلياس الكاندهلوي - رحمه الله - أن كلمة (المسلم) في الصدر الأول من الإسلام كانت تعبر عن شخصية من ينفق أمواله ويضحى بنفسه وبكل ما يملكه من غال ونفيس لنشر الإسلام وإعلاء كلمة الله، والذى كان يجرد منها كان يُعد من قبيل الغَفَلة والجَهَلَة .

ولكن هذا المفهوم قد اختلف تمام الاختلاف في زمننا هذا، وأصبحت الحالة أن يرى المسلم اليوم طمس حقائق الدين أمامه ولا يتحرك ذهنه وجوارحه لبقاء هذا الدين ولا يلتفت إلى شيء يساند هذا الدين أو يؤدى إلى نشره.

وهكذا أهمل المسلمون حقيقة عقيدتهم، وأعرضوا عن السعي في دين الله، فوقعوا فريسة للأعداء، اخذهم وباء الانحطاط وصار يزداد يوما بعد يوم، ولا يجدون سبيل الإنقاذ، بل تصوروا أن البعد عن الدين هو أمر أبدى وهو نصيبهم ولن ينجوا من هذا الانحراف .

فالأركان التي كانت تغذى بها شجرة الدين وتثمر أصبحت ضئيلة، بسبب عدم الالتفات والعناية بها، فإهمال رعايتها أدى إلى أن جفت أغصان تلك الأصول والأركان نفسها حتى صارت سيقانها دون الأغصان والثمار.

فلذا وجب على جميع المسلمين أن يقوموا بإصلاح المجتمع، ويفهموا مقصد حياتهم، وكيف يمكن لهم بناء الحال والمستقبل، ولا أقول بترك المشاغل المادية، بل أقول أنه كلما يجد الإنسان المسلم أهمية الأمور المادية في قلبه والالتفات إليها، يجب

ألا يخلو قلبه من الاهتمام بالأمور الدينية، فكما تتطلع أنظاره وقلبه لصلاح الأمور المادية يجب أن تتطلع بنفس القدر إلى الإصلاح المعنوي على الأقل .

إن لكل عصر فتن وأمراض، وفتنة عصرنا هذا هي القناعة بالوضع الديني الراهن، والشدة والانهماك في الأشغال المادية، والتي لم نترك بوجودها لمحة واحدة للحصول على الحياة الدينية، فإن مثل تلك المشاغل هي أرباب من دون الله، وأصنام جديدة، لم تمهل الإنسان إلى الالتفات إلى أية ناحية أخرى، حتى لا يتأثر الإنسان بأي شيء آخر .أ.هـ.

يقول الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوي - رحمه الله - في كتابه (الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية) صـ ٣١٥ وما بعدها: فلهذا السبب قرر الشيخ محمد إلياس أن يبدأ عمل الإصلاح بحركة إيمانية حتى ينفخ روح الإيمان في قلب كل مسلم من جديد، فدعا القوم إلى التعرف على الدين بكل قوة، وأن يخرج المرء من تلك المشاغل لإصلاح نفسه مؤقتا، ويحرر نفسه من هذا المناخ المتجمد، ومن تلك الأصنام المعادية ، لتعلم الدين الذى يجب على كل مسلم ومسلمة .

لأن تلك المشاغل قد حاصرت جدران القلب حيث لم تبق أية ناحية تدخل منها كلمات الدين والأعمال الصالحة، بل تفاجأ بالاصطدام بالقشرة المتجمدة المفسدة حول القلب .

وإذا كان طلب العلم - حسب الضرورة - واجب على كل مسلم ومسلمة، حيث جعله الشرع جزءا من الحياة، فلزم الخروج لطلبه لجميع المستويات من الناس، حتى لأهل العلم، لتترقى مدارج العلوم وتنشأ حياة التدين الحقيقية بالإفادة والاستفادة معا.

وكيف تخلو حياة المسلم من طلب الدين ثم إبلاغه إلى الآخرين والسعي العملي،

وبذل الجهود إعلاء كلمة الله؟ فيجب أن يشترك كل واحد في هذا العمل بكل ما يمكن له في هذا المجال، ويساهم كل واحد حتى يكون للكل نصيب في نشر دين الله.

ثم يقول: إن التعليم، والذكر، والتبليغ، وخدمة الدين، وكسب العيش، كانت أجزاء رئيسية لحياة الصحابة رضى الله عنهم، ولكن الان قد غلبت الخامسة – أي كسب العيش – على الأربعة الأُول .

وليس العلاج أن يترك المرء تلك المشاغل ويقف حياته للأربعة الأُول، بل يجب التوازن في كل واحد، بحيث يعطى الإنسان لكل جزء حقه، وأفضل ما نجد في هذا المجال، وأسهل وأقرب للوصول هو الاقتداء بحياة الصحابة، وبذل الجهود لإحياء طريقهم رضى الله عنهم .

فمن هنا نجد أن الشيخ محمد إلياس تأكد أن الإصلاح لا يمكن إلا بالاقتداء بالصحابة - **رضوان الله عليهم أجمعين** - ومن هذا المنطلق يدعو جميع المسلمين للقيام على طلب العلم والعمل به والدعوة إليه للآخرين ، وذلك بقدر ما يمكن للإنسان، حيث يكون التوازن ملحوظا في كل أمر من الأمور، فإذا قام كل فرد من أفراد الأمة لإصلاح نفسه بنفسه، مقتديا بحياة الصحابة – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – فسيأتي نصر الله وهدايته من فضله .

اختار الشيخ محمد إلياس منهج التشجيع والتحريض والترغيب بجانب التنبيه والتحذير والترهيب، وخاصة في مجال دعوته للقيام بأعمال التبليغ، فمثلا يقول: فالقيام الرمزي بتلك الدعوة وبذل الجهود الضئيلة لا تساوى شيئا مقابل الدين الذى لم يكتف بتقديم تضحية آلاف الأنفس عن طيب خاطر، بل كان ثمنا لذلك إراقة الدماء واحتراق الكبد، ولكن الله سبحانه وتعالى بسخائه ولطفه أكرمنا بالثواب

على العمل ولو كان ضئيلا، وشجعنا بقوله: (لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسا إِلاَ وُسْعَهَا) (١)، وتدفعنا هذه الآية الكريمة إلى الرجاء في رحمته بقبول تلك الأعمال، ونصرته لها .

ويقول الشيخ أبو الحسن على الحسنى الندوي ـ رحمه الله ـ في كتابه (الشيخ محمد إلياس ودعوته الدينية) صـ ٢٤٢: إن الشيخ محمد إلياس رحمه الله كان يستخدم أسلوب التحريض والتأليف معا، حيث يبلغ منتهى الأهمية في التحريض، مع أنه كان يقبل العمل القليل بالشكر والانبساط والانشراح والتقدير، ولكنه لم يغب عنه الهدف المنشود الأصلي، فلذا كان يستمر في التحريض والترغيب حتى لا يفتخر العامل بعمله، ولا يعتقد أنه وصل إلى درجة الكمال، ولا يحسبه الوصول إلى المنشود (أي أنه وصل بذلك العمل الضئيل إلى المنشود) وفى كل ذلك كان يراعى منهجه المختار وهو: خاطبوا الناس على قدر عقولهم، كما كان يؤكد لأحبابه الدعاة بقوله: استعينوا على أموركم بالكتمان.

وكان لا يهدف بذلك تكوين جماعة محدودة الزمن أو غيرها من أنواع الأحزاب، ولا إعداد المصلين فحسب، بل كان يضع حقيقة ما كان يريده أحيانا بمنتهى البساطة وبلهجة الحزن المليئة بالحسرات، وهى قوله: نريد إنشاء قوم جدد، فما كان يرجو إنشاء جماعة تستمر عدة قرون، بل كان يرجو الله لإحياء حركة الدين بصفة أبدية.

وكان الشيخ محمد إلياس ـ رحمه الله ـ يقول: ولكى لا تكون هذه الحركة مثل غليان الماء المؤقت أو الزبد الذى يذهب جفاء، فإننا نرجو الله سبحانه وتعالى أن يجعلها مستمرة للأبد .

---

(١) سورة البقرة– الآية ٢٨٦.

وكان يكثر دعاءه لقيام البناء المستحكم لها، طبقا لعقيدته وهى: أن البناء المستحكم لا يمكن ثبوته إلا إذا تمكنت حقائق الإيمان الصحيح في قلوب المسلمين، وأن لا تكون هذه الجماعة منتسبة إلى شخصية أو بلد أو جماعة سياسية أو غيرها من أنواع الفرق الطائفية أو المذهبية، بل تكون دعوة عامة مشتركة بين جميع المسلمين، وتقوم على بذل جهود كل مسلم دون تمييز اللون والقبيلة والمكان والزمان .

فلم تكن عنده أهمية إذا خرج المئات (مع **الجماعة**) حيث كان يفكر في خروج مئات الآلاف من الناس، وكان يردد كلماته: يا ليت مئات الآلاف من القوم يخرجون، ويا ليت يصبح هذا الخروج (في سبيل **الله وفى سبيل الإصلاح**) **جزءا من حياتهم.**

وكان الشيخ / محمد إلياس ـ رحمه الله ـ يقول : وكيف يحصل المنشود إذا لم يقم مئات الآلاف لمئات الملايين، فنسبة العارفين بالدين لا تصل إلى عشرات الآلاف، إذ تصل نسبة الجهلة إلى مئات الملايين.

لقد اهتم الشيخ محمد إلياس اهتماما كبيرا بأن يتفرغ كل واحد من أشغاله المادية ويخرج في سبيل الله وذلك إما فصلاح نفسه أو لإصلاح الآخرين قدر كفاءته العلمية والعملية، وقد سجلت كتب التاريخ أقواله ورسائله الكثيرة والتي يوضح فيها أهمية هذا الخروج في سبيل الله ويحرض العلماء وزملاءه وعامة الناس، ويؤكد لهم أن الإصلاح لا يمكن إلا إذا قام كل فرد لإصلاح نفسه بنفسه، ولإصلاح غيره بالترغيب والتعليم والتدريب على الأركان الأساسية للدين، حيث تعد تلك العمليات نقطة الانطلاق في سبيل الإصلاح الديني السليم، ويكون هذا الخروج أول مرحلة إلى جانب هذا الإصلاح.

يقول الشيخ محمد إلياس في رسالة له بعث بها إلى تلميذه الشيخ محمد عيسى الفيروزبورى: يا ليت يصعب على الناس الجلوس في البيت بعيدا عن الدعوة، بمثل ما يصعب عليهم اليوم خروجهم في سبيلها.

ويقول في خطاب طويل آخر له: إن العشرات لا تكفى لإرشاد وترغيب مئات الملايين، بينما هؤلاء العشرات (الذين كانوا يخرجون بالجماعة في ذلك الحين) يشدهم حب الجلوس في البيوت والمنازل الفانية، بعد خروجهم منها، فكيف يبنى بيت الدين الحنيف ؟ ولا يمكن الوصول إلى المنشود إلا بأن يجعل كل واحد خروج أربعة أشهر جزءً من أجزاء حياته.

ويقول مشيرا إلى القبائل الريفية: إن السذاجة والشجاعة كانت تحميهم من الارتداد إلى اليوم، ولكن الأنشطة العدوانية قد فاقت جميع المقاييس وتغلبت على كل شبر، فلا يمكن الحفاظ على إيمانهم حتى تجعل الحصون المشيدة حول عقائدهم بأسرع ما يمكن، وإلا ستقع تلك القبائل فريسة في أيدى العدوان، إن غيرة الله لا تسمح بإعطاء نعمة الدين لقوم إلا إذا فضله القوم على منافعهم المادية.

ويقول الشيخ محمد طيب عميد ورئيس جامعة دار العلوم في ديوبند بالهند فى كتابه (أصول دعوة الإسلام): يقول الشيخ محمد إلياس ـ رحمه الله ـ : لا يمكن تهيئة المناخ الديني السليم في مجتمع المسلمين إلا إذا التزمت كل أسرة بتفرغ فرد واحد لتحصيل الأمور الدينية والخروج في سبيله، بالتناوب في أفراد الأسرة بصفة مستمرة.

وأحيانا كان يقول: تقدموا وتسابقوا في الخروج في سبيل الله، فإن خروج فرد

واحد من كل أسرة حركة جديدة، فإن تمسكتم بذلك، فالنصر قريب، قوموا وابذلوا الجهود بقدر الإمكان، إن فرصة بذل الجهود لن ينالها الإنسان بعد الموت مع أنه سيكون راغبا فيها.

ثم يغير الشيخ محمد إلياس أسلوبه في الترغيب إلى هذا الخروج في سبيل الله لنصرة دينه، ويختار طرقا عجيبة مؤثرة لتحريض المسلمين، ويستخدم كل ما عنده من ذكاء وتدبير، فمثلا يقول: من العجيب أن يخرج كل واحد من أفراد الأسرة للكسب المادي، ولا يخرج أحد لكسب الغذاء الروحاني.

وإذا التحق المسلمون بالجيوش الإفرنجية لكسب لقمة العيش، وراح ضحية تلك اللقمة مئات الآلاف من المسلمين - أي المجندين في جيوشهم - ولكن لا يقدر أحد أن يقوم لنصرة الإسلام، في حين قامت جميع القوى المعادية للإسلام لتدمير بنيانه بصرف جميع القوى الممكنة التي عرفها الإنسان في التاريخ البشرى على وجه الأرض (١).

(١) انظر أهمية الدعوة والتبليغ في الإسلام ومدى وجوب اهتمام المسلمين بهما _ ص_ ١٠٥ : ١١٥.